الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والارشاد القومى

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج . ع . م

مؤتمر القمة

للدكتور محمد احمد خلف الله

لقد كان **القوميون العرب** – ولا يزالون – يؤمنون بان الوحدة العربية هي السبيل الوحيد لحل المشكلة الفلسطينية . ذلك لأن هذه المشكلة لم تخلق الا لتثبيت الأوضاع التى خلقها الاستعمار فى المنطقة العربية . وليس من شك فى أن المشكلات انما تزول بزوال الأسباب التى من أجلها قامت ، والبواعث التى من أجلها خلقت .

لقد خلق الاستعمار اسرائيل لتكون الركيزة التى يعتمد عليها فى بقائه لتجزئة العالم العربى الى دويلات وأقاليم ، تلك التجزئة التى اقامها قبل الحرب العالمية الأولى ، وأثناء الحرب العالمية الأولى ، وغذاها باسباب من الخلاف لتكون الاقليمية البغيضة ، ولتكون الفرقة والانقسام .

ولقد خلق الاستعمار اسرائيل لتكون العميل الذى يبسط من خلفه ، وعلى يديه – نفوذه الاقتصادى ، ونفوذه السياسى ، حتى تظل المنطقة العربية دائرة فى فلك الاستعمار ، بعد أن يرحل عنها الاستعمار .

ولقد وعى القوميون العرب بذاكرتهم ، ورأى القوميون العرب ببصيرتهم ، أن القومية العربية بمضامينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية هى الوسيلة الوحيدة للقضاء على كل نفوذ استعمارى فى المنطقة . وللقضاء على الدولة التى اقامها الاستعمار فى المنطقة .

***

ولقد كان **القوميون العرب** – ولا يزالون – يرون فى قيام دولة اسرائيل فى قلب البلاد العربية – خزيا أى خزى ، وعارا أى عار : فراوا فى عودة الجيوش العربية الى اوطانها عام ١٩٤٨ عارا لابد أن يمحى ويزول ، ولن يزول الا اذا زالت اسرائيل ، وزال كل نفوذ للاستعمار الذى خلق اسرائيل .

ولقد عادت الجيوش العربية الى اوطانها وهى فى حالة من الغليان النفسى الذى كان هو الباعث الأول على تلك الثورات العديدة التى قامت فى مختلف البلدان العربية .

ولقد راى **القوميون العرب** فى تشريد ابناء فلسطين العربية ماساة لن تزول الا بعودة النازحين من ابناء فلسطين الى ديارهم واموالهم ، ولن يتم ذلك الا بزوال اسرائيل ، ولن تزول اسرائيل الا اذا توحدت جهود الدول العربية ، واخلص الذين يقودون المعركة من ابناء الأمة العربية للأهداف العربية .

ويرى **القوميون العرب** باعينهم ، ويسمعون بآذانهم تلك التحديات التى تتحداهم بها اسرائيل ، ويتحداهم بها الاستعمار تأييدا لاسرائيل ، ويرى القوميون العرب أن هذه التحديات يجب أن تقابل بتحديات أعنف منها واشد ، وان ذلك لن يكون الا اذا توحدت جهود أبناء الأمة العربية ، وصفت قلوب القائمين على الأمر فيها .

***

من أجل هذا كله فرح القوميون العرب بتلك الدعوة التى وجهها الرئيس **جمال عبد الناصر** الى الملوك والرؤساء ، والتى أسفرت عن اجتماعهم الأول ، ومؤتمر القمة العربى الأول .

فرح القوميون العرب لأن هذه المؤتمرات تحقق

امرا اعم فى نظرهم من كل مايصدر المؤتمرون من قرارات .

ان هذه الاجتماعات تحقق تخفيف حدة الاختلافات، وتزيل من النفوس بعض الاحن ، وتقضى على بواعث العداوة والبغضاء .

ولقد حقق المؤتمر الأول الشيء الكثير .

فقد ازال النفور بين المغرب وموريتانيا ، وتهادن الفريقان .

ولقد سويت مشكلة الحدود بين المغرب والجزائر ، وحل التسامح محل البغضاء .

ولقد اعترفت الأردن بالجمهورية اليمنية ، وصفى مابينه وبين الجمهورية العربية من خلافات .

ولقد تقاربت السعودية من الجمهورية العربية المتحدة .

واقامت العراق مع مصر اتفاقيات نرجو أن تكون اساسا لألوان أخرى من الاتحادات .

وفرح القوميون العرب لأن وضع قضية فلسطين فى أيدى الملوك والرؤساء هو السبيل المحققة للنجاح، ولقد برزت عوامل هذا النجاح فى أكثر من موقف :

فقد أعلنت الجزائر ان قضية فلسطين لن تحل الا فى داخل فلسطين ، وأن رحى المعركة لابد أن تدور هناك ، وأن الجزائر لن تتوانى عن تقديم المعونات ، وبخاصة من الرجال الثائرين الأحرار .

ولقد رأت الأردن أن منظمة التحرير تستطيع أن تؤدى دورا خطيرا فى حل قضية فلسطين فأذنت بقيام مؤتمر فلسطين فى القدس ، واعترفت بالكيان الفلسطينى لاسترداد أرض فلسطين .

ولقد استجاب العرب جميعا الى تعزيز امكانيات الدفاع العربى عن الأرض المحتلة ووحدوا الجهود فى هذا الميدان .

ولن ننسى أن نضيف فى هذا المقام أن بعض الدول العربية قد قابلت التحديات الاستعمارية بتحديات مثلها .

ففى **تونس** اممت الدولة ممتلكات الفرنسيين - اعتمادا على الوجود العربى المتمثل فى اجتماعات الملوك والرؤساء .

وفى **ليبيا** قام الشعب العربى بمطالبة المستعمرين بالجلاء عن القواعد ايمانا منهم بأن هذه القواعد تهدد الوجود العربى فى كل بقعة من بقاع العالم العربى .

وفى **عدن** ، وفى **منطقة الخليج** ، تقوم الثورات ، ويتحدى الثائرون الاستعمار ، ويخوضونها معركة فى سبيل الحرية والاستقلال .

كل ذلك من اجل أن قضية المصير العربى قد اصبحت بيد الملوك والرؤساء .

وهذا الاجتماع الثانى المنعقد بالاسكندرية هو **الخطوة العملية** فى سبيل حل القضية الفلسطينية ، وهو فى الوقت ذاته خطوة فى سبيل الوحدة ، وصفاء القلوب ، واخلاص الضمائر .

ذلك لأن المصير العربى مصير مشترك ، ولن يتحقق الوجود العربى الا اذا توحدت الجهود العربية ، ولن يستطيع القيام بذلك الا الملوك والرؤساء الذين يجسدون أحلام الشعوب العربية وامانيها .

وفق الله الجميع لتحقيق أهداف الامة العربية .

كلمات

ان اصرار الشعب العربى على تصفية العدوان الاسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى ، هو تصميم على تصفية جيب من اخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب ، وليس تعقب الشعب العربى للتسلل الاسرائيلى فى افريقية الا محاولة لحصر انتشار سرطان استعمارى مدمر .

* * *

ان الذين يحاولون طعن فكرة الوحدة العربية من اساسها مستدلين بقيام خلافات بين الحكومات العربية ينظرون الى الأمور نظرة سطحية .

ان مجرد وجود هذه الخلافات هو فى حد ذاته دليل على قيام الوحدة .

ان هذه الخلافات تنبع من الصراع الاجتماعى فى الواقع العربى .

* * *

ان اى حكومة وطنية فى العالم العربى - تمثل ارادة شعبها ونضاله فى اطار من الاستقلال الوطنى - هى خطوة نحو الوحدة من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية فى الوحدة .

* * *

ان اى وحدة جزئية فى العالم العربى - تمثل ارادة شعبين او اكثر من شعوب الأمة العربية - هى خطوة وحدوية متقدمة ، تقرب من يوم الوحدة الشاملة ، وتمهد لها ، وتمد جذورها فى أعماق الأرض العربية .

ان مثل هذه الظروف تمهد طريق الدعوة الى الوحدة الشاملة .

الثروات الطبيعية والتصنيع
من خلال آيات القرآن الكريم

• بقلم محمد محمد المدني •

– ٤ –

ذكرت الجبال فيما يقرب من أربعين موضعا من القرآن الكريم ، منها ما بينت فيه أوصافها ، ومنها ما يحدث عن الغاية من خلقها وارسائها فى الارض، ومنهـا ما يلفت النظر الى تسخيرها لبنى آدم لينتفعوا بها ، ويستخرجوا كنوزها وثرواتهـا ، ومنها ما يذكر مصيرها يوم ينتهى عمر الأرض :

● فمن ذلك قوله تعالى فى وصف الوان الجبال:

« ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود » .

والجدد – بضم الجيم وفتح الدال – : جمع جدة بضم الجيم وتشديد الدال – وهى الطرائق الظاهرة المختلفة الالوان المنفصل بعضها من بعض ، وهذه الجدد من عجائب خلق الله تعالى فى الجبال يعرفها من رآها وسار فيها أو عاش على مقربة منها ، وذلك أنها طرق مسلوكة تكون أحيانا بين الجبال بعضهـا وبعض ، وتكون أحيانا فى الجبل الواحد الذى ربما بدا كأنه عدة جبال لانقسامه وتعدد طرقه وقممه، واختلاف الوان صخوره وترابه ، وهذه الطرق أو الجدد يخيل لمن رآها أنها مصـنوعة منحوتة بيد الانسان ، وان بعضها لكذلك حقا ، ولكن الـكثير منها طبيعى مخلوق منذ خلقت الجبال ، لا يبدو عليها أى أثر من آثار صنعة الانسان ، بل يبدو بمجرد النظر استحالة أن يكون الانسان قد شـقها أو مهدها .

وبعض هذه الطرق قد شقتها السيول الملحة عليها منذ آلاف السنين أو ملايينها « وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » .

واذا كانت هذه الجدد كما يقول القرآن الكريم مختلفة الالوان مابين أبيض وأحمر واسود غربيب – أى يشبه فى الســواد لون الغراب ، وجمعه غرابيب – فان لنـا أن نستشف من وراء هـذا الاختلاف اللونى اختلافا فى طبيعة الجبل او الجبال نفسها ، وان نحلل عناصر احجارها وترابها لنعلم ماذا تحمله من مواد الثروات الجبلية التى أودعهـا الله كنوزا لا يدركها الحصر ، ولا يكاد يعرفهـا على حقيقتها وتفصيلها عهد من عهود البشر من لدن آدم الى اليوم ، ولكنهم يعرفون عنها فى الحين بعد الحين أشياء ، ويظلون جاهلين بأشياء ، وغافلين عن أشياء ، ليتم توزيع هذا النوع من الثروات توزيعـا عادلا بين العهود البشرية ، فينال كل جيل او كل عهد من الناس حظهم بمقدار بحثهم وعلمهم وجدهم حتى اذا جاء من بعدهم وجدوا كثيرا باقيا يمكنهم أن يبحثوه ويعلموا علمه ويســتخرجوا ثمراته ، وهكذا .. مادام الانسان على ظهر هذه الارض .

ثم ان هذه الصـخور الجبلية والرمال والاتربة – حتى لو لم تنظر الى العناصر الخفية من وراء اختلاف الوانها – هى نفسها ثروات طبيعية لا يخشى نفادها، فمنها يستمد الناس أحجارا مختلفــة الالوان ، يهذبونها بالصـناعة والنحت والتقسيم والتنظيم فيكون منها متاع أى متاع ، وجمال أى جمـال ، وثروات مختلفة ، ومجالات للصـناعة والزخرفة والتجارة والعمارة .

● **ومن ذلك قوله تعالى** فى الحديث عن ثمـود قوم صالح ، وما أنعم عليهم به من هداية طبيعيـة الى الانتفاع بالجبال :

« واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولهـا قصـورا وتنحتون الجبال بيوتا » .

وعادا الذين خلفتهم ثمود هم الذين يقول الله تعالى فيهم :

« الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » أى ذات الابنية المرفوعة

هل العمد ، وكانوا – فيما يقول بعض المفسرين – ينصبون الاعمدة فيبنون عليهـا القصـور ، وفي الصحاح : العماد الابنية الرفيعة، ثم قال جل شأنه:

« وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » أى قطعوا الصخر سيرا ، من قولهم : فلان يجوب البـلاد أى يقطعها ، وذلك تعبير عن خبرتهم بهـا ، ويقول المفسرون : ان أول من نحت الجبال والصـخور والرخام ثمود ، وكانوا أقوياء الاجسام أولى فراهة وحذق فى الصناعة والنحت والبنـاء ، يخرجون الصخور ، وينقبون الجبال ، ويجعلونهـا بيوتا ، وفيهم يقول الله عز وجل :

« وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين » .

فأثبت لهم صناعة نحت الجبـال ، اما على أنهم يتخذون منها بيوتا بنحتهـا هى ، وتصميم غرف ومرافق فيها ، واما على أنهم كانوا يقتطعـون من صخورها ثم ينحتونه ويبنون منه بيـوتا ، وكلا الامرين يدل على لون من ألوان الحضارة البشرية ، اذ كان الشأن الغالب هو اتخاذ البيوت من الخيام المصنوعة من الأشعار والاوبار ، وكذلك أثبت الله لهم أنهم كانوا فى نحتهم الجبال ، واتخاذهم البيوت منها أو فيها « آمنين » ومعنى ذلك أن الجبـال فى عهدهم لم تكن مستوحشة بما فيهـا من وحوش كاسرة ، ولا آفات تهدد حيـاتهم ، أو أنهم كانوا محتاطين فيها لأمنهم وسلامتهم متمكنين من الانتفاع بها دون خوف .

وفيهم أيضا يقول الله عز وجل :

« وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين »

وهـو دليل على ما ذكره المفسرون من قوتهم وفراهتهم أى حذقهم وتمكنهم من أعمالهم

● ومن ذلك قوله تعالى بيانا لنعمته فيما يعود على الانسان بالنفع من الجبال :

« واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبـال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » .

فقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الانواع اما فى الجبال ، واما فى الاشجار ، واما فيما يعرش ابن آدم ، أى يهيىء من الاغصان والخشب ، وقد ذكر الله الجبال فى أول هذه الانواع ، وفيه اشارة الى أنهـا أهم أماكن النحل ومساكنهـا ، لبعدها عن مجتمعات الناس ومنازلهم ، فيعيش فيهـا النحل مجموعات متعددة لا يدركها الاحصـاء ، وتتوالد وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، لا تكلف الانسان الا أن يذهب الى مساكنها وبيوتها ، ويشتار منهـا العسل ذا الالوان المختلفة ، وهى فى الجبال تسرح وتمرح وتسلك سبل ربها مذللة ممهدة فيها أقواتها، وتلك لعمرى ثروة طبيعية جبلية تدل على لطف من الله ورحمة بالعبـاد وكفالة لرزق طيب ماكانوا ليعرفوه أو ينتجوا ألوانه .

وكما جعل الله من الجبال بيوتا ومصانع للنحل، جعلها أيضا مرابع لكثير من أنواع الحيوان ،ومراتع لما لا يحصى من أصنافها المتوحشـة التى ينتفع الانسان بفرائها وعظامها وجلودها ، والتى تشكل مصادر كثيرة للثروات الطبيعية .

وفى بعض ذلك يقول الله عز وجل :

« والارض بعـد ذلك دحاها ، اخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال ارساها ، متاعا لكم ولانعامكم ».

فالمراعى الحيوانية أكثر ما تكون فى الجبال والقفار وهى كما يعرف الرعاة قديما وحديثا ، والمشتغلون بتربية الانعام ، خير علف للماشية والابل والبقر، فالمشاهد أنها تنمو على هذه المراعى ، وتتوالد فى ربوعها أكثر مما تنمو وتتوالد فى قرب العمران ، وذلك فوق أنها ذات مزية اقتصادية لرخصها وعدم الحاجة الى نقلها وتسويقها ، وانما تسام فيها الانعام وتساق اليها لكى تعيش فى بيئتها الطبيعية الملائمة جدا لها ، بهوائهـا الطلق ، ومداها الرحب الفسيح ومجاورة بعضها لبعض ، كأنهـا مجتمع خاص يستريح أفراده الى أفراده ، ولا يستوحشـون بالانفراد والانقطاع فى الحظائر المصنوعة .

وقد رأيت بنفسى كثيرا من تلك الانعام المسومة ترتع فى أطراف البرية وآكامها وبين ربوع تلالها فى بعض النواحى من محافظة البحيرة ، فرأيت عالما حيوانيا كثير الافراد ، غزير الانتاج ، ورأيت أسر العرب الذين يعيشون على نتـاج هذه الانعـام يخصصون سمات معينة تسم بها كل أسرة حيواناتها فلا يختلط ما لهذه الاسرة بما لأسرة أخرى ، وتعيش الابقار وانواع الجاموس هناك دون رعاة ولا حراس فاذا ذهب أصحابها بين الحين والحين الى هذه المراعى الطبيعية وجدوا العجول الصغيرة التى ولدت وهم عنها غائبون ، تنحاز الى أمهاتها انحيازا طبيعيـا فطريا فيكون ذلك دليلا على أنها للاسرة الفلانية ،

فتوسم بميسم هذه الاسرة ، وتنضم الى ملكها دون منازع .

ولعل من الاشارات القرآنية البارعة ، الى حب الحيوان لهذا اللون من المراعى ، وملاءمتـه لطبيعته ولذته ، ان الله تعالى يقول فى امتنانه على الانسان بما خلق من النبات « وفاكهة وأبا ، متـاعا لكم ولانعامكم » فيقابل بين الفاكهة التى هى غذاء مستلذ للانسان ، يجد فيه راحته ، ويلائم فطرته ، والاب اى المرعى المتهيىء للرعى الـذى يكون أكثر ما يكون فى الجبال ، فكأن الأب فاكهة الانعام ! ويقول الله عز وجل « او لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون » ، والارض الجرز هى اليابسة التى جرز نباتها اى قطع ، اما لعدم المـاء ، واما لانه رعى وأزيل ، وهذا الوصف منطبق على ارض الجبـال والقفار التى هى فى الغالب ظمأى الا اذا سقتها الامطار ، أو مرت بها السيول .

وهكذا نجد المراعى الجبلية مصدرا عظيـما من مصادر الثروة الطبيعية التى هيأها الله للانسان ، ونرى هذه المراعى تتحول الى لحوم وشحوم وغيرها مما يعتمد عليه الانسان فى حياته .

● وقد ذكر الله تعالى الجبـال والانعام بها ، فيما ذكره عن عبده ونبيه داود عليـه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فقال :

« ولقد آتينا داود منا فضلا : يا جبال أوبى معه» « انا سـخرنا الجبـال معه يسبحن بالعشى والاشراق » .

والمفسرون يخرجون ذلك على معنى من معـانى الاعجـاز ، فيفسرونه تفسيرا يتفق وما للانبياء من معجزات ، فيقولون : أوبى معه ، أى سبحى ، جمعا بين هذا وبين قوله تعالى «يسبحن بالعشى والاشراق» ومعنى تسبيح الجبال فى رأيهم أن الله خلق فيهـا تسبيحا كما خلق الكلام فى الشجرة ، هكذا يقول المفسرون او اكثرهم ، ولم أجد أحدا قرب من المعنى الذى يمكن أن نرتضيـه ، الا رأيا حكاه القرطبى بقوله : « وقيل : المعنى تصرفى معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار » هكذا قال القرطبى فى تفسير « يا جبـال أوبى معه » ، ولـكنه أتبعه مباشرة بقوله « فكان اذا قرأ الزبور صوتت الجبال معه ، وأصغت اليه الطير ، فكأنها فعلت مافعل » .

وفى رأينا : أن التأديب هنـا بمعنى المطاوعة والتجاوب ، من قولهم « آبت يد الرامى الى السهم» يريدون أن الرامى لما أراد أن يرمى آبت معه يده ، اى طاوعته وتجاوبت معه فى تحقيق غرضه ، فلم تتأب عليه ، ولم تعصه فتقصر عن مراده .

فالله تعالى ينبئنا أنه آتى داود منه فضلا ، ومن بين هذا الفضل الالهى تطويع الجبـال له بالعلم ومعرفة قوانين الله فى الكون كما قال فى موضـع آخر « ولقـد آتينا داود وسليمان علمـا » وقال فى موضع ثالث « واذكر عبدنا داود ذا الأيد » أى ذا القوة - وقوته بالعلم ، والعلم فضل الهى من أعظم الفضل .

فقوله تعالى : « يا جبال أوبى معه » قول تكوينى على سنته تعالى : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » أى اننا خلقنا الجبال خلقا مرتبطـا بسنن وقوانين اذا روعيت وادركت وطبقت تجاوبت مع النـاس وأعطتهم ذخائرها وكنوزها وثمراتها ، وقد هدينا داود بفضل منا الى ذلك بالعلم والتأييد فاهتدى اليه ، فهو يعلم علم الجبال وطبيعة تكوينها وأساليب الانتفاع بها ، وهى خاضعة لعلمه مطاوعة له متجاوبة معه ، وهذا المعنى واضح فى قوله تعالى « انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق » : فالتسخير هو التطـويع والتقييض حسـب السنن الـكونية التى أودعهـا الله فى الخلق ، كون ذلك مع داود معناه ان الجبال سخرت له أو معه ، اى طوعت وذللت ، اما تسبيحها بالعشى والاشراق ، فهـو دلالتها الحالية على عظمة الله تعالى وقدرته ، حيث أودعها ما أودعها من الكنوز والقوى والاسرار ، وسخرها للانسان وأقدره عليها ، وذلك على حد قوله تعالى فى آية أخرى :

« وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

فجميع المخلوقات مسبحة بحمد الله وان لم تنطق بلسان وشفتين ، وفى ذلك يقول بعض الحكماء : « سل الأرض فقل من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، ومد ظلالك ، فان لم تجبك حوارا ، اجابتك اعتبارا » .

هذا هو ما تستريح اليه النفس فى تفسير معنى التأويب والتسبيح المنسوبين الى الجبال فى هـذا المقام ، وان ذلك ليجعل الامر أمر علم وبحث واجتهاد فلا يكون من خصوصيات نبى بمعجزة من المعجزات فمن جد وجد ، ولكل درجات مما عملوا ، والله لا يضيع اجر من احسن عملا .

فضل العرب

للدكتور فؤاد حسنين على

على أوربا دين اختصته الدكتورة (سيجريد هونكه) العالمة الالمانية فى تاريخ الحضارة العربية بكتابها (شمس الله على الغرب) الذى صدر حديثا فى الالمانية فتلقفته الايدى ونقلته اكثر من لغة اليها. وتهدف المؤلفة من وراء كتابها هذا الى تقديم شكر كان يجب أن يقدم الى العرب منذ قرون عديدة فالالمان مدينون للعرب بالشىء الكثير وتعتقد السيدة الفاضلة انه من خطل الراى ان ينظر الاوربيون الى اوربا على انها هى ، وهى فقط العالم الحديث ، ومن الحماقة ان يدعى الاوربيون أن تاريخ أوربا هو تاريخ هذا العالم ، فالحقيقة التى لاشك فيها أن سائر القارات التى يتكون منها عالمنا هذا ساهمت وتساهم فى تكييف الاحداث العالمية التى تخضع لها شعوب المعمورة . اما اليوم فقد شاء الله ان تزول هذه الغشاوة عن اعين الاوروبيين وتتسع صدورهم للحقيقة فلا يغمطون العرب حقهم فى انهم جاءوا برسالة عالمية وأدوا خدمة انسانية للحضارة البشرية قديما وحديثا . ان هذا النفر من الاوربيين المنصفين لا يأبه بتحدى أولئك المتعصبين الذين أعماهم تعصبهم الدينى فحاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية او التقليل من شأنها .

ان الانسان يقرأ ثمانية وتسعين كتابا من مائة مثلا فلا يجد فيها اشارة واحدة لفضل العرب وما اسدوه الى اوربا من علم ومعرفة اللهم الا هذه الاشارة العابرة التى تقول ان دور العرب لا يتعدى ساعى البريد الذى نقل اليهم التراث اليونانى . اما العرب فلم يأتوا بجديد ، لكن من فضل الله علينا ان النهضة العلمية الحديثة كشفت الغطاء عن حضارات الشرق القديم وبخاصة مصر وبابل واشور . ولم يعد سرا أن مصر هى الوطن الذى بزغ فيه فجر الضمير ، وان هذا الشرق العربى القديم هو وطن الوحى والعلوم والفنون والآداب ، واذا ما انتقل الباحث الى بيزنطة ليطل منها على المسيحية فى عصورها الوسطى فالحديثة ازداد شكه فى اليونان والرومان وأيقن أن أثينا وروما لا تستحقان كل هذه العناية وان ما يحاول المغرضون خلعه عليهما ما هو الا سراب لا يقوى على البقاء امام شمس الشرق العربى اذا ما سطعت وبددت ضباب الغرب وسحبه ومطره وثلوجه .

ان التراث العربى لا يقارن به اليونانى او الرومانى. ان العرب ظلوا ثمانى قرون طوالا يشعون على العالم علما وفنا وادبا وحضارة كما اخذوا بيد اوربا واخرجوها من الظلمات الى النور كما نشروا لواء الحضارة أنى حلوا سواء فى آسيا أو افريقيا أو اوربا ثم ينكر الاوربيون عليهم فضلهم .

ان المذاهب الانسانية الحديثة تغاير تلك التى انتشرت فى العصور الوسطى، وشعار الاوربى اليوم هو محاولة فهم عدو الامس وتحويله الى صديق وذلك بالاعتراف له بمكانه تحت الشمس. ان موقف اوربا منذ نزول الوحى المحمدى موقف عدائى بعيد كل البعد عن الانصاف والعدالة والتاريخ ، وقتذاك كان يملى ويصنع ولم يكن الملى هو الضمير بل التعصب الاعمى . أن مثل هذا الوضع كان مفهوما فى عصر كان فيه الشعور السائد هو انكار حق كل فرد يخالف الاوربيين عقائديا ، ومما يدعو الى الأسف ان هذه النظرة القديمة كان مبعثها

الظن فى أن الاعتراف للعرب بالفضل خطر يهدد العقيدة المسيحية ، لذلك جد التعصب الدينى فى اقامة الحواجز بين الاوربيين وغيرهم ، وهـذه النظرة الاوربية دليل قوى على ضيق افق الاوربيين .

***

ان كتاب (**شمس الله على الغرب**) يتحدث عن العرب والثقافة العربية لا عن الاسلام والمسلمين ذلك لان كثيرا من صفات الحياة العقلية العربية الاجتماعية يحمل طابعا جاهليا لا اسلاميا ، كما ان نفرا من العرب اصحاب العقائد الاخرى ساهموا فى هذه الثقـافة ونشرها ، وكتاب السيدة مؤرخة الحضارة العربية يعتبر بحق خير كتاب اصدرته دور النشر الاوربية فى هـذا الموضـوع ، وهو كما عودنا العلماء الالمان منذ عصور قديمة جامع شامل يستحق جميع عبارات الثناء والاطراء التى طلعت بها الصحف والمجلات العلمية فى المانيا وخارجهـا . لقد عالجت المؤلفة مختلف نواحى النشاط العقلى العربى فى سبعة فصول تقع فى ست وسبعين وثلاثمائة صفحة، فضلا عن كثير من الصور واللوحات التى تزيح الغبار عن هذا الماضى الذهبى. وقد خصت الفصل الأول بالفاظ العربية الدخيلة فى الالمانيـة وغيرها والتى وجـدت طريقهـا مع مسمياتها الى اوربا فى العصـور الوسطى . فهى تتحدث عن الصيدلة والورق والبوصلة والمداق والتوابل والاقمشة والرنوك وتختم هذا الفصل بالحديث عن الصـواريخ وتطورها منذ ان ظهرت فى مصر العربية حتى (كاب كنيدى) .

***

ولا تكتفى المؤلفة بالعرض والتحليل بل تخلص منهما بالنتائج ، فهى ترى أن ظهور النبى محمـد النبى العربى كان أهم عامل من عوامل تقويض اوربا وذلك لانه بعث فى العرب روحا جديدة فلم تمض أعوام قلائل حتى تدافعت القبائل العربية فى موجات متلاحقة غامرة شاطىء البحر الابيض المتوسط ثم لم تقف عندها بل واصـلت زحفها حتى بلغت المحيط الأطلسى. وهكذا نجد العرب ينتزعون شرق وجنوب وغرب العالم القـديم من حالة الجمود والركود ويهيئون السكان لحياة افضـل بعد ان ظلوا قرابة الف عام يتيهـون فى بوادى الجهالة والظلمات ، فانتصار الاسلام قسم العالم الى شرق وغـرب . شرق وثاب وغرب قابع . شرق حـر طليق وغرب مكبل باغـلال الماضى العفن السحيق حيث اسدل على نفسه ستارا كثيفا واكتفى بحياة النسـك والزهد والعزلة . اما الدولة العربية العالمية الجـديدة فقـد ثبتت اقدامها فى الأقاليم المفتوحـة وللمرة الاولى فى تاريخ العرب يظهرون على مسرح التاريخ كشرق يغلب الغرب على امـره فيختفى ويتوارى منطويا على نفسـه .

لقد نجح الاسـلام فيما فشلت فيـه الغزوات والهجرات الجرمانية . لقد فتت هذا الجمودالذى فرضه البحر الابيض المتوسط قرونا عديدة على هذا القسم من العالم وهذا هو الحـدث الهام فى التـاريخ الاوربى منـذ الحرب البونية ، اذ أغلق صفحة تاريخ العالم القديم وفتح الصفحة الجديدة صفحة العصـور الوسـطى فى الوقت الذى كانت تتحول فيه اوربا الى بيزنطة .

***

واليـوم تقف حيارى لا نحير جوابا امام هـذه الصواريخ التى تنطلق فى الفضـاء وتجوب ارجاء الكون وتعود من حيث بدات ، فهل فكر أحد وقد فوجئنا بهول وعظمة ما نشاهد لمن يجب ان نقدم الشكر لهذا الاختراع ؟ ثم اليس من المحتمل ان الاوربيين ليسـوا هم اول من فكر فى اختراعه ؟ لقد ثبت ان الفكرة الخاصـة باطلاق القنابل عن طريق قوة متفجرة من البارود هى فكرة صينية ، وقد نفـذت عام ١٢٣٢ م فى معركة نشبت حول (بين كيننج) بين الجيشين الصينى والمغولى وكادت تدور الدائرة على الصينيين لولا أنهم فاجاوا العدو بهذا الاختراع الذى هو عبارة عن سـهام تطلق عن طريق مادة محترقـة تحتـوى على ملح البارود . وحـوالى عام ١٢٧٠ م اسـتخدم المغول نفس السلاح مستعينين بقوة التفجير الناتجة عن ملح البارود ، وللمرة الأولى فى تاريخ الحروب نجد هذه الصواريخ تلعب دورا هاما فى كسـب المعارك او فك الحصار كما وقع فعلا فى الحصار المضروب حول مدينة (فان تشينج) ، وبفضل هذه الصواريخ انتصر (كوبلاى خان) على الصينيين وقضى على مقاومتهم .

لكن هل انتصر المغول على الصينيين دون تلقى مساعدة أجنبية ؟ وان كان للمغول حليف فمن هو هذا الحليف الذى استغاث به (كوبلاى خان) واجابه الى رجائه وأعانه على الصينيين ؟ يحدثنا المؤرخ رشيد الدين حديثا يثير دهشتنا ، فهو يذكر فى سياق كلامه عن السلطان العربى انه علم من حاشيته ان السلطان استجاب الى طلب (كوبلاى خان) وامر بأن يرسل اليه المهندس الذى حضر من بعلبك ودمشق ، وابناء هذا المهندس هم ابو بكر وابراهيم ومحمد وقد بنوا بمساعدة الفنيين الذين رافقوهم سبع آلات كبيرة وتوجهوا الى المدينة المحاصرة ، والآن نتساءل : هل سبق أن ساهم المهندسون العرب فى فك الحصار المضروب حول مدينة (بين كيننج) عام ١٣٣٢ م ايضا ؟ وهل هذا السلاح العجيب الذى استخدم هو بعينه الذى هاجم به **القائد المصرى فخر الدين** جيش الافرنج وملكهم لويس القديس عام ١٢٤٩ م حيث دارت رحى المعركة الصليبية للحملة الخامسة،واستخدم القائد المصرى فخر الدين نيرانا عربية جديدة ؟ وقد اثار هذا السلاح الجديد الخوف والفزع فى صفوف الصليبيين حتى ان المؤرخين الاوربيين يذكرون ان كل مرة كان يطلق فيها الصاروخ المصرى يشعر ملك فرنسا بخيبة عظمى ويصرخ : « يا حبيبى يا يسوع المسيح نجنى واحمنى ورجالى » .

ورب ضارة نافعة فقد تكتلت اوربا ضد العرب المسلمين وشن المسيحيون حربا لا هوادة فيها ضد المسلمين مما اضطر سلاطين الاسلام الى تجنيد العلماء العرب فى القرن الثانى عشر الميلادى وبخاصة اولئك الذين يهتمون بالكيمياء وارسلوهم الى مصانع المواد المفرقعة حيث نجحوا فى صنع مادة مفرقعة كاوية حارقة . وفى النصف الثانى من القرن الثالث عشر استكملوا صنع مادة مفرقعة دافعة للصواريخ واستخدموها ضد الصليبيين . ففى كتاب الحرب لحسن الرماح وبعض المؤلفات الاخرى الخاصة بالحروب فى ذلك العصر نجد ذكر كثير من المواد المفرقعة والاسلحة النارية **مثل** (بيض يندفع تلقائيا ويحرق) **واخرى** (تطير نافثة اللهب) **وثالثة** (تحدث صوتا مثل الرعد) وهكذا نجد العرب **هم اول من صنع قذائف صاروخية** .

وقد ترجمت اوربا بعض هذه المؤلفات الخاصة بالاسلحة والذخائر الى اللاتينية فانصرف اليها بعض الذين يعنون بالعلوم وبخاصة ما كتب فيها خاصا بهذا الخليط العربى العجيب الذى يحدث صوتا كالرعد وضوءا كالبرق وفى طليعة هؤلاء الاوربيين الذين وصل اليهم هذا الاختراع (روجير بيكون) و (البرتوس مجنوس) والجراف الالمانى الواسع الاطلاع (فى بولشتدت) ، ثم انتقلت النظرية الى المعمل حيث ظهرت النتيجة التى هزت كيان العالم فالعرب فى الاندلس هم اول من استخدمه فى اوربا ،والعرب الأندلسيون هم صانعو القنابل،من البارود فى اوربا وقد استخدموها فعلا فى كثيرمن حروبهم . فالتاريخ يحدثنا ان **المدفعية العربية** قذفت بقنابلها فى الاعوام ١٣٢٥ و ١٣٣١ و١٣٤٢م مدنا مثل (بازا) و (اليكنتا) و (الجكيراس = الجزيرة) فاحدثت هذه القنابل ذعرا شديدا فى صفوف الاعداء حتى انهم اعتقدوا ان الساعة قد اقتربت .

***

والنتيجة المحتومة لهذا السلاح الجديد انه نقل فنون الحرب من مرحلة الى اخرى ، اذ كان نقطة التحول فى الذخيرةومازال منذ الحرب العالمية الثانية يطلع علينا بالعجائب . **اما الفصل الثانى فقد** عالجت فيه العدد فبينت مدى تأثر « فيثاغورث » بالنظريات العربية وكيف انتهت المعركة التى دارت بين الأعداد الرومانية والعربية بهزيمة الاولى وانتصار أعدادنا . فاستخدام الاعداد العربية ليس قاصرا على الالمان فقط بل نجده عند جميع الشعوب المثقفة ولولاها ما استطاع العالم اصدار التذاكر او تدوين اسماء الأشياء ولا طبع دليل تليفون أو تقرير سوق الأوراق المالية . ولولا هذه الاعداد العربية ما قام هذا البناء الشامخ الخاص بالرياضيات والطبيعيات والفلك او الطائرات او السفن عابرات المحيطات ، وكذلك الطبيعة النووية وغيرها . وتقديرا لفضل العرب على الانسانية خلد العالم اسمهم بتسمية هذه الأعداد : **الأعداد العربية** .

واختصت المؤلفة الابناء الثلاثة لموسى الفلكى بفصلها الثالث ومن حسن طالع اولئك الاخوة ان اكبرهم وهو محمد اصبح اشهر الجميع علما

وسياسة ، وكان احمد هو الفنان البارع والصانع الماهر وقد اشترك احمد مع محمد وركبا ساعة نحاسية ذات حجم كبير وقام محمد بعمل حساب شروق وغروب اهم الكواكب والنجوم حسب اليوم والسنة . اما احمد فقد قام بتنفيذ العملية الحسابية المعقدة التى وضعها اخوه . وكانت هذه الساعة قطعة فنية عجيبة ووحيدة من نوعها من حيث صناعة الآلات وتركيبها وقد اثارت اعجاب كل من شاهدها،فقد رآها الطبيب ابن ربان الطبرى فى القصر الجديد للخليفة فقال : امام مرصد سامراء رأيت آلة ركبها الاخوان محمد واحمد ابنا موسى ؛ والاخوان خبيران بعلم الفلك وتركيب الآلات . والآلة التى صنعاها عبارة عن كرة وعليها صور الافلاك واجرام السماء وتحرك هذه الآلة بفعل الماء فاذا اختفى نجم من السماء اختفى فى نفس الوقت النجم الذى يقابله فى الكرة عن طريق خط يمثل دوران الافلاك وله نظير فى السماء . وعندما يعود النجم فى السماء الى الظهور مرة اخرى يظهر هذا النجم على الكرة فوق خط الافق .

والاخ الثالث الحسن كان كما تحدثنا المصادر العربية نابغة عصره فى الهندسة كما كان عبقريا وحيدا اشتهر بالذاكرة القوية ، وسعة الخيال والتصور،ومن بين اعماله التى قام بها مستقلا عن اخويه كتابه الذى وضعه حول القطوع المخروطية كما انه هو مخترع ما يعرف باسم القطع الاهليلجى .

***

وتحدثت الدكتورة (سيجريد هونكه) فى **الفصل الرابع** عن المستشفيات التى تضارع احدثها فى القرن العشرين وقد انتشرت فى العالم العربى من البصرة حتى قرطبة ، بينما كانت أوربا تعالج بوضع اليد على المريض أو طرد الشيطان والصلاة ، وهذه كانت احسن ادوية للشفاء يستخدمها الاطباء الاوربيون وهم فى ازياء القسيسين والرهبان لشفاء المرضى من أمراضهم الجسدية : « هل أحد بينكم مريض ، فان كان الامر كذلك يستدعى الانسان عجائز الحى ليصلوا من اجله بعد ان يدهنوه باسم المسيح بالزيت ، وصلاة الايمان تكفى لشفاء المريض ؛ هكذا علم يعقوب الرسول . لكن يسوع نفسه طبيب الجسد والروح شفى حوارييه والآخرين الذين أراد شفاءهم بوضع يديه وطرد الشيطان .. »

ومن اشهر المستشفيات الاسلامية المستشفى الكبير المعروف باسم المنصورى او دار الشفاء او مارستان قلاوون ولما تم بناؤه توجه السلطان فى ركب عظيم ، ولما بلغ البيمارستان طلب قدحا من الشراب فشربه وقال : قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى ، ووقفه السلطان على المالك والمملوك والكبير والصغير والحر والعبد ، والذكر والانثى وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن ..

واستهلت المؤلفة الفصل الخامس بالحديث النبوى الشريف : «**ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب ، ولمداد ماجرت به اقلام العلماء خير من دماء فى سبيل الله** » .

ومن ثم تستطرد فى الفصلين السادس والسابع والخاتمة فتعالج سر هذه الفتح العربى الثقافى العظيم فتذكر ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها ابناء الصحراء من العدم من اعجب النهضات العلمية الحقيقية فى تاريخ العقل البشرى فسيادة ابناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة فى نوعها وان الانسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة، هذه المعجزة العربية التى لانظير لها والتى يحار الانسان فى تعليلها وتكييفها .

***

اذ كيف كان من المستطاع ان شعبا لم يسبق له ان يلعب دورا سياسيا أو ثقافيا من قبل يظهر بغتة الى الوجود ويسمع العالم صوته ويملى عليه ارادته ويفرض عليه تعاليمه ، وفى زمن قصير اصبح ندا لليونان . ان هذه المنزلة التى بلغها العرب ابناء الصحراء لم تبلغها شعوب اخرى كانت احسن حالا وارفع مكانة .

ان بيزنطة الوريثة الفنية لا للشرق القديم فحسب بل للثقافة اليونانية ايضا لم تنتج شيئا وظلت حتى اليوم عاقرا . والسريان وهم تلاميذ اليونان الحقيقيون وصلتهم الثقافة اليونانية كما وصلت العرب فترجم السريان كثيرا من المؤلفات اليونانية الى لغتهم السريانية الا ان السريان لم ينهضوا بما ترجموا ولم تتفتق هذه الترجمات وتلك العلوم عندهم عن حركة علمية أو نهضة ثقافية عالمية .

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

شاعرة الحرمان

للدكتور بدوى طبانة

وليست هذه اول مرة أكتب فيها عن **عاتكة** شاعرة العواطف والآلام التى سجلت فى ديوان الشعر العربي الحديث صفحات طوالا، وشقت طريقها بين أمواج الحياة المتدافعة ، تدفعها عواطفها المتأججة وشاعريتها المطبوعة ، واستطاعت أن تملأ الأسماع فى بيئات الادب والشعر فى العالم العربى وما وراءه بشعرها العاطفى الجميل .

وحينما حاولت الكتابة عن شاعرية « عاتكة » فى المرة الاولى قبل سبعة عشر عاما فى احدى المجلات العربية ثم فى كتابى « **أدب المرأة العراقية** » كانت عاتكة فتاة قد أتمت منذ قليل دراستها العالية ، وغدت تستقبل حياة العمل والطموح .

وكان نتاجها الشعري اذ ذاك ـ وهو النتاج الذى أقمت عليه معالم دراسة شاعريتها ـ قليلا محدودا ، أكثره قصائد ومقطعات تمثل حياة التطلع والطموح التى كانت تحياها فى تلك المرحلة من مراحل شبابها الغض .

وقد بعدت عاتكة الآن عن عاتكة الاولى بقدر ما مر من السنين ، وبقدر ماكثرت تجاربها وتعمقت وتنوعت .

كانت عاتكة اذ ذاك تختلس من أوقات دراستها وتحصيلها خلسا من الوقت تنفس عن عواطفها وتعبر فيها عن مشاعرها، وتشرح تجاربها التى تكاد تنحصر فيما كانت تحس به من مرارة وألم ، فقد بدأت تفتح

كما ان هذه النهضة العلمية لم تنبعث أيضا فى ايران التى كانت ملتقى الثقافات الصينية والهندية واليونانية فقد استقبلت ايران كل هذه الثقافات ولم تطورها بالرغم من أن بيئتها الطبيعية وحالتها الاقتصادية ومستواها الثقافى تساعد على هذا التطور ، لكن الملاحظ أن العقلية الايرانية لم تنتج ولم تتطور ولم تنهض الا عندما وجدت فى بيئة أخرى وخضعت لمؤثرات ثقافية خاصة .

ليست بيزنطة وليست بلاد السريان وليست ايران التى كانت القنطرة التى تصل بين الثقافتين الشرقية والغربية وليست جميع هذه البلاد هى التى ظهرت على المسرح الثقافى العالمى كحاملة لمشعل الثقافة القديمة ومكملة لها .

اما الشعب الذى خلف الثقافة القديمة وحمل لواء النهضة العلمية الفكرية فى العالم فهو شعب صحراوى خرج من الصحراء وبسرعة البرق قبض على صولجان السيادة الثقافية فى العالم وظل ابناء الصحراء حاملين لهذا الصولجان دون منازع مدة لاتقل عن ثمانية قرون ،كما ان هذه الثقافة العربية تفتقت وازدهرت واينعت اكثر من الثقافة اليونانية واثبت العرب انهم اخصب واقوى من اليونان .

د. فؤاد حسنين على

عينيها على الحياة لترى في طفولتها المبكرة اطفال الحي ، وقد أهرعوا الى آبائهم ليغمروهم ببسمات الرضا ومشاعر الحنان وعواطف الابوة ، وتتلفت حولها فلا تجد مثلهم أبا يضمها بين ذراعيه، ويغمرها بفيض حنانه ٠

ذاقت عاتكة في طفولتها مرارة الحرمان والم اليتم من فقد الأب الذي لم يقدرلها أن تراه ، وكثيرا ما كانت عاتكة تسأل أمها في حيرة الواله : هؤلاء آباؤهم ٠٠ فاين أبي يا أماه ؟ ولم تكن تجد الجواب الا فيما تفضي به العبرات تنحدر من مآقي الأم الوالهة فتملأ صحن خدها ، هكذا استقبلت عاتكة حياتها تظلل جبينها الغض سحابة من الألم ، وتسري في اعطافها روح الحزن والأسى الغامر ٠

وكان الشعر الذي بدأت به عاتكة حياتها الفنية هو شعر الأسى والألم ، مع قليل من شعر الحماسة والوطنية تصوغه في بعض الأحداث ، وتنشده في بعض المناسبات في المحافل الخاصة والمجتمعات التي تعد أيضا مجتمعات خاصة ٠

كذلك كانت عاتكة ، وكذلك كان شعرها : فتاة تطلب العلم وتتطلع للحياة ، وتتدرب في صناعة القريض ، وعلى قسماتها اثارة من شحوب ، وفي نبراتها همسات حزن عميق تترجم عما في اعماقها من الآلام والشجون ٠

ومن بواكير شعر عاتكة واصدقه تلك القصيدة الباكية التي جعلت عنوانها «اليتم الشاعر» وفيها تقول :

بلوت من الايام كل عظيمة
وحسبي اني قد ولدت بمأتم
وكانت اغاني المهد لي رنة الأسى
ووقع نحيب قد برى قلب أيم
ولقنت في مهدي سجل مآتمي
وكم هالني فصل الشقاء المجسم

وتصف في تلك القصيدة أمها التي براها الحزن واذوى الشقاء نضرة وجهها ، واذبل زهرة شبابها ، حتى أحالها جسدا نحيلا او شبحا ضئيلا :

وابصرت عن قرب خيالا مهدما
يغالب دمعا بين جفن مورم
وخد له قد جفف الحزن ماءه
وغاض به نبع الشبيبة والدم
عرفت به أمي وياليت انني
جهلت فلم اعلم ولم اتعلم
عرفت به امي فضاعف لي الأسى
فاجهشت اجهاش الجريح المكلم
وكفكفت دمع اليتم عطفا على التي
رعتني وضمتني بكف ومعصم

وظلت امها راعية طفولتها ، وصديقة صباها ٠٠ وانيس وحدتها تجد في أحضانها شفاء آلامها وبلسم جراحها ، وموئل آمالها ، وملاذها من الحياة اذا اصطدمت بالحياة أو بالاحياء ٠

وهكذا غدت أمها كل شيء في حياتها ، وقدرت عاتكة لامها كرم الصحبة وجميل الايثار ، فعبرت عن عاطفتها نحوها بقصيدة أخرى عنوانها **«أنت ياأماه»**.

أنت معنى الحب بل معنى الحياة
أنت نور فاض من نور الاله
أنت يا أماه من قلبي مناه
أيعيش المرء دون الأمل ؟
أنت بعد الله رمز يعبد
تفتديه مهج بل اكيد
أنت يا أماه سر سرمد
ضل فيه الفكر منذ الأزل

وتأخذ في هذه المناجاة البديعة التي تفيض بآيات الولاء والتكريم ، فتجعلها هديها ومنارها وفخارها ، فهي تنعش أملها ، وتبل صداها ، وتسامرها في الظلمات ، وتبعث فيها الآمال :

أنت من يبذر في روحي المنى
ثم اجنيها صفاء وهنا
أنت يا أماه هل أنت أنا
أم ترى لغزك لما يحلل
أنت لي الصحب اذا ما أنكروا
والاحباء اذا ما غدروا
أنت يا أماه ما ادخر
ليس لي في الكون الا أنت لي

هذا نموذج من شعر عاتكة المبكر الذي صورت فيه آلام يتمها وحرمانها من عطف أبيها ، وسجلت فيه مآثر أمها التي كانت تقاسمها الأسى ، وتشاطرها اللوعة ٠

هل استطاعت تلك السنون الطوال التي عبرت ان تغير معالم الصورة التي عرفتها وقرأتها ؟ أو بعبارة أخرى : هل هنالك جديد في حياة عاتكة وفي تجاربها ؟ وهل استطاع ذلك الجديد ان يعكس آثاره على شعرها الذي الفته في تلك السنين الطوال ؟

من الناحية المظهرية ، أو من الناحية الشكلية - كما قد يقال - تغيرت عاتكة كثيرا .. ان **عاتكة وهبي الأمين** ، وهو الاسم الذى أذكر اننى كنت أعرفها به ، وهى تجلس بين زملائها وزميلاتها فى قاعة الدرس فى دار المعلمين العالية ، اذا لم يكن مر الزمان قد ضيع الذاكرة ، أصبحت الآن **الدكتورة عاتكة الخزرجي** الاستاذة فى كلية التربية بجامعة بغداد .

وبغداد التى ولدت فيها عاتكة ودرجت على أرضها وتعلمت وعلمت في معاهدها ، أصبحت تجد لها فى حياة عاتكة منافسا فى البلاد العربية وفى مصر بالذات التى كانت عاتكة ولا تزال تزورها وتقضى فيها فترات متصلة وفترات متقطعة ، تفر فيها من حر بغداد لتتردد على دور الكتب تشبع فيها نهمها وشغفها بالمعرفة ، وتلتقى فيها بأهل العلم والشعر والادب ، حتى أصبح لها فى أرض الكنانة عدد كبير من المعجبين بخلالها المكبرين لأدبها وشاعريتها ، وتجد بغداد منافسا أيضا فى باريس التى قضت فيها ست سنوات رأت فيها عالما غريبا عن عالمها ، والتقت بأساتذة جامعتها ، وأعدت تحت اشرافهم رسالتها للدكتوراه التى حققت فيها ديوان الشاعر الغزل الرقيق «العباس بن الأحنف» .

وبعد تلك الظواهر أو الشكليات التى تغيرت فى حياة عاتكة ، وبعد هذه الجولة فى الزمان وفى المكان استطاعت عاتكة أن تضم الى مكتبة الشعر المعاصر ديوانها الحافل «انفاس السحر» ويذكرنا هذا العنوان بالعنوان الذى تخيره صديقنا الشاعر الكبير على الجندى لواحد من دواوينه وهو « أغاريد السحر » .

ولكلمة «السحر» رنين عذب فى الاسماع ، وصدى مطرب فى النفوس ، وكثيرا ماافتتن الشعراء بالسحر ، ورددوه فى أشعارهم ، وكان مجتلى الهامهم ، ومسرح خيالاتهم وأكثر الأوقات مناسبة لمناجاتهم وبث شجونهم ، والسحر هو وقت الصفاء وخلوص النفوس من شوائبها ، ووقت التسابيح والاستغفار عند أهل التقوى والصلاح ، بعد أن تهدأ النفوس وتطمئن الجوارح .. فكان أولئك الشعراء يعدون نفثاتهم تسابيح وابتهالات فى محاريب الفن ، ونلمح هذا فى عبارة الاهداء التى كتبتها عاتكة فى صدر ديوانها الذى أهدته «الى كل ناطق بالضاد ، ومؤمن بلغة القرآن ، ومبارك لوحدة العرب ، اهدى أول تسبيحة لى فى محراب الادب » !

ويبدو من هذا الاهداء أن «**انفاس السحر**» هو أول ديوان تنشره عاتكة ، وقد جمعت فيه شعرها القديم الى شعرها الجديد ، ولم تميز هذا من ذاك ، بل ان عاتكة لاتذكر لقصيدة من قصائدها أو مقطعة من مقطعاتها التىاشتمل عليها الديوان ، وهى تناهز المائة ، تاريخا ولا مناسبة الا مرة أو مرتين ، مع أن فى كثير من تلك القصائد والمقطعات ما تشتد الحاجة الى معرفة مناسبته لاتصاله بتلك المناسبة ، ولانه يفقد كل قيمة فنية اذا عرى عن مناسبته ، اذ هو يعبر عن واقعة حال لاتدرك الا أن تذكر ويصرح بها ، ويتحرج الناقد اذ ذاك فى اصدار حكم لها أو عليها .

ولا نحب أن ندع تلك الملاحظة من غير أن نسوق مثالا لها ، حتى لايكون كلامنا اشبه بالدعوى من غير دليل .. فقصيدتها التىعنوانها (انى أحبك سيدى) ص ٧٧ التى تقول فيها :

ماكان ظنى سيدى أنا بلا ذنب نرد
افهكذا هون العزيز فلا يصان ولا يود ؟
أنصد عنكم مقبلين وليس فينا من يصد ؟
انذاد عن أبوابكم ونعود لا أخذ ورد ؟

يشعر سياقها أنها قيلت فى واحد من ولاة الامر قصدت اليه الشاعرة فى حاجةمع جماعة من أصحابها أو صواحبها ، فلم يؤذن لها ولا لغيرها بالمثول بين يديه !

ولكن من ذلك الصلف العاتى الذى يذود عن حماه الشاعرة المرموقة ومعها من لايذاد ، ويصدها عن حضرته ومعها من لا يصد ؟

وما تلك الحاجة التى ذهبت فيها عاتكة مع رفقتها الى ساحة ذلك الجبار ؟

علم ذلك عند الله وعند الشاعرة ، ولندع قراء شعرها يفهمون ما يفهمون أو يتوهمون مايشاءون !

ثم ما جزاء ذلك الجبار العنيد ؟ أيكون جزاؤه أن تثور عليه الشاعرة ثورة عارمة وان تصليه نار شعرها وتصب على جبروته جام غضبها بما طغى وتكبر ؟ أم يكون جزاؤه « انى أحبك سيدى » ؟!

بل لقد استعطفته عاتكة واسترحمته بقولها :

مولاى هذى مهجة من حر ما فيها تقد
رحماك لو آسيتها وجميل عطفك لايحد

(**البقية على صفحة ١٨**)

دفاع عن شعراء الرفض

للدكتور محمد النويهي

اريد بمقالتي هذه ان ادافع دفاعا صريحا عن شعراء الرفض وحقهم فى ان يعبروا فى انتاجهم عن رفضهم تمام التعبير الذى يريدونه ، وان ادلل على واجبنا فى تحمل كل ما يقولون بصبر وسماح مهما يثر سخطنا الدينى ، ومهما يؤلم شعورنا الاخلاقى، ومهما يجرح حساسيتنا القومية .

دفاعى هذا لن اقيمه على حقهم المطلق فى التعبير الحر عن فكرهم كائنا ما كان ، فانى وان كنت اومن بحق الفرد المقدس فى التعبير الحر عن رايه لن استعمل هذه الحجة هنا . لا ولن اقيم دفاعى على تجريد الفن تجريدا تاما من اية مسئولية اجتماعية ، فانى لست ممن يقولون بهذا التجريد كما شرحت فى شتى كتبى المنشورة ، ولست ممن ينادون بأن نقد الفن يجب ان يقام على الاعتبارات الفنية الخالصة وان يخلو من اى تقديرات اجتماعية ، بل اقر للناقد بحقه فى ان يسائل الفنان عن اثر انتاجه فى البناء الاجتماعى .

انما اقيم دفاعى على دعوى ان رفضهم هذا ، مهما يؤذ مشاعرنا ، لا يضر قوميتنا العربية ، ليس هذا فحسب ، بل هو يفيد هذه القومية اجل فائدة اذا تناولناه تناولا صحيحا فاعتبرنا بعبرته واجدنا استنباط الدروس منه حتى نزيد عروبتنا صحة وسلامة ونبرئها من بواقى التعفن والفساد ونحثها على طريق التطور والتقدم . وبذلك نطهرها من الاسباب التى لا تزال تدفع بعض شعرائها الى التمرد عليها واعلان التنصل منها .

ومقالتى هذه رد فعل على الدراسة الجيدة التى نشرها الاستاذ الفاضل **« عبده بدوى »** عن مدرسة الرفض على صفحات هذه المجلة . فهذا الباحث القدير مهما نخالفه فى تفسير بعض الحقائق لا شك قد وضع انامله الحساسة على دقائق الموضوع وفى قراءتى لدراسته الممتازة كان يتنازعنى شعوران متناقضان : احدهما الاعجاب بنزاهته بل الاجلال العميق لموقفه النادر من السماح وسعة الصدر والخلو من التعصب الاحمق والعلو على النظرة الضيقة الرعناء ، وثانيهما شعور الخوف الشديد من الا يستطيع بعض قرائه ان يلتزموا فى تناول هذا الموضوع ما التزم . فيتسبب ذلك فى ضرر بليغ لادبنا وقوميتنا معا .

اما موقفه هو فواضح نير . فقد اعلن وكرر اعلانه انه لا يريد ان يصادر تجربة الشاعر ، لانه يؤمن بحرية الشاعر كأعمق ما تكون عليه هذه الحرية ، وهو يختم دراسته لاحد هؤلاء الشعراء (فى العدد ٥٦ من « الرسالة ») بأن يقول **ان العروبة ، برغم كرههم لها ، ورفضهم اياها ، تسير دون ان تقتص منهم ، بل انها تبتسم فى وجوههم الحاقدة ، ولا تصادر حتى متعة لعبهم بالنار المشبوبة . فالتاريخ الادبى هو الكفيل بالحساب ، واظهار الدوافع ، واسقاط الاقنعة ، وهو يعتقد ان هذا اشد من حساب السياسة .**

ما أعظم صدق الاستاذ عبده بدوى فى اعتقاده هذا ، لكن ما اقل الكتاب الذين يستطيعون ما استطاع من سعة ورجحان ! بل هو برغم ادانته القوية للمضمون الفكرى لهؤلاء الشعراء لا يسمح لهذه الادانة بأن تفسد عليه تقديره الفنى لشعرهم ، حتى ليقر لاحدهم (ادونيس) بالاصالة والجدة ، والارهاف والاجادة ، ونضج التجربة الشعرية وثرائها ، ويقول : ان انسانا لا يشك فى مقدرته الشعرية وفى اصداره التركيبة الشعرية الاوركسترالية .

ولكن . . . هل يستطيع جميع قراء الاستاذ عبده بدوى ان يتخذوا هذا الموقف الناضج المتزن البصير من شعراء الرفض ، وخصوصا اذا ادركنا الى اى مدى سيجدون ما يقوله هؤلاء الشعراء مؤلما جارحا ؟

فلنتناول ،لأن هذا الموضوع المحرج بمواجهة لامواربة فيها ، فكثيرا ما تكون هذه هى الطريقة الوحيدة لعلاج الموضوعات الحرجة .

نبدأ ببسط نوعين مختلفين من الوطنية : النوع المجد والنوع المبكت . ومعظمنا للاسف الشديد لا يعرف او لا يقبل الا النوع الاول ، الذى يقتصر على تعداد امجاد الوطن والتغنى بمآثره ، وينكر او يهمل نقائصه وامراضه . ولا شك ان لهذا النوع فائدته ولزومه فى الهاب الشعور وشحذ الامل وتقوية الهمم ، لكن لا شك أيضا ان الوطنية التى تقتصر عليه تكون وطنية ناقصة عرجاء ، لن يكتب لها نجاح بعيد فى الارتفاع بالوطن واستكمال اسباب برئه وعظمته . فنحن محتاجون ايضا الى النوع الآخر الذى يلفت انظارنا بشدة ، واحيانا بقسوة ، الى ما تبقى فينا من عيوب وآثام . هذا النوع لا شك يؤلمنا غاية الايلام ، لكنه ايلام التطهير للجرح الفاسد الذى لامناص من تطهيره اذا أريد له البرء .

بل نزيد على هذا فندعى أننا كلما انكرنا هذا النوع المبكت وهربنا منه كان هذا دليلا على ان وطنيتنا لا تزال ضعيفة ، فمركب النقص لا يزال فينا قويا بحيث يمنعنا من مواجهة عيوبنا . وكلما ازدادت قدرتنا على هذه المواجهة كان هذا دليلا على ان وطنيتنا آخذة فى اسباب القوة والنضج ، حتى لم نعد نخشى عليها من الاعتراف بما بقى فينا من علل وآفات .

لذلك كنا فى العهود البائدة اشد جزعا من النقد الذاتى وتهربا منه . وكان حكامنا يدينون اصحابه أقسى الادانة ويتهمونهم لا باقل من الخيانة . علما منهم بأن هذا النوع من الوطنية هو الذى سيفضح آثامهم ، ويشهر بجرائمهم ، ويكشف القناع عن مدى ظلمهم واثرتهم وفساد حكمهم واضراره بالوطن ، وعن مدى تحالفهم الحقيقى مع الاستعمار ، مهما ذموه بألسنتهم وصاحوا بشعارات الوطنية الزائفة .

كان هم هؤلاء ان يبقى الشعب راضيا بحالته خاضعا لذله وامراضه الذريعة ، حتى يظلوا فى استغلاله اطول امد ممكن ، وكان يزعجهم أن يقوم من ينبه الشعب الى المدى الحقيقى لسوء حاله وفساد امره ، وكانوا يستخدمون طائفة من الكتاب وظيفتهم ان يخدروا الشعب ويغمضوا عينه عن حالته المزرية ، وان يوهموه ان حاله احسن حال واخلاقه ارفع اخلاق وتقاليده انبل تقاليد ، وان يزعموا له ان كل من ينقد عيوبه ويكشف عن آفاته عدو له خائن للوطنية مضر بالقضية القومية .

وحين ابتدات الشائعات المزعجة تنتشر عن سوء حال جيشنا فى فلسطين ، وعن فساد ذخيرتنا وضعف استعدادنا العسكرى فى مختلف النواحى الضرورية ، انبرت تلك الطائفة المأجورة تؤكد لنا ان كل شيء على ما يرام ، وان جيشنا فى خير حال واكمل عدة واقوى روح معنوية ، وتحذرنا من اولئك « الخونة » الذين ينشرون تلك الاراجيف ويفتون بها من عضدنا ويخدمون أعداءنا .

افلا نعرف جميعا ما حدث ؟ وهل كانت ثورتنا العاتية فى يوليو ١٩٥٢ فى سببها المباشر الا غضبة على هذه الوطنية المنافقة الكذوب ، واصرارا على مواجهة نقصنا المادى والمعنوى وتعرف فداحته الحقيقية حتى يتسنى علاجه ؟

امامى وانا اكتب هذه السطور نسخة من جريدة الاهرام بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٦٢ ، تحمل خطاب الرئيس **جمال عبد الناصر** الذى القاه فى استقباله لاعضاء المجلس التشريعى لقطاع غزة ، يحلل فيه رئيسنا بنزاهة وشجاعة نكبتنا الكبرى ، نكبة **فلسطين ، فيضع مسئوليتها العظمى على العرب انفسهم ولا يتخلص منها بالقائها على غيرهم ، ويحلل اخطاءنا ونقائصنا وخيانة حكامنا ، ويدلل على انها هى التى مكنت الاستعمار والصهيونية من الفوز بفلسطين . ويذكر كيف قصرنا نحن العرب تقصيرا فادحا فى الاستعداد حتى اخذنا على غرة دون ان يكون لنا اى عذر فى هذا التقصير ، فقد قام من بيننا من يحذروننا من ذلك الخطر الماثل ، ويبين كيف ضاعت منا فى عام ١٩٤٨ مواقع بدون قتال وضاعت مناطق دون ان تطلق فيها رصاصة واحدة. ويقولها صريحة لا مواربة فيها : « انا اعتبر ان سبب النكبة فى عام ١٩٤٨ هم العرب اكثر من اليهود . » ثم يكررها مؤلمة قاسية الايلام : « كنا نحن العرب المسئولين عن هذه النكبة وليس نتيجة ١٩٤٨ فحسب وانما نتيجة ١٩٤٨ وما قبلها » .**

فما رأى القارىء فى هذا الكلام ؟ صدق **جمال عبد الناصر** وكذب المتشدقون بالوطنية الفارغة . فلم تكن مأساة فلسطين الا النتيجة المحتومة لانحلالنا

المادي والخلقي والوطني . وليس من سبيل الى محو عارها من سجل تاريخنا الا بمعالجة هذا الانحلال المعالجة التامة الابراء . وهل من سبيل الى هذه المعالجة الا بالاعتراف الامين بما تبقى فينا من آفات ذلك الانحلال ؟

وهكذا تفهم الامم الناضجة ذات الوطنية العتيدة معنى الوطنية القيم ونوعها المثمر المفيد . ولو انك سألت انجليزيا مثقفا ما العمود الصحفي الذي يعده اعظم الاعمدة وطنية واكثرها فائدة لوطنه ، لما احالك الى ما تكتبه بعض صحفهم الرخيصة من تشدق بالعظمة البريطانية وتغن بالامجاد البريطانية ، بل لاحالك الى العمود المشهور « ذس انجلند ـ انجلترا هذه » في المجلة الاشتراكية المعادية للاستعمار « نيو ستيتسمان » . وهذا العمود لا يسجل اسبوعا بعد اسبوع مآثر بريطانيا ومناقبها ، وآيات ذكائها ونجاحها وتفوقها ، بل يسجل اسبوعا بعد اسبوع ، عن طريق مقتطفات من الصحف البريطانية يرسلها قراء المجلة ، دلائل غباواتها وحماقاتها واخطائها ومخازيها .

وتزداد عجبا من هذا العمود الفذ حين تعرف ان عنوانه « انجلترا هذه » مقتبس من قطعة شعرية من افخم ما كتب شكسبير في مسرحياته التاريخية في تمجيد انجلترا والتغني العريض بمحامدها . فمجلة « نيو ستيتسمان » بتحويرها هذا العنوان هذا التحوير الساخر تريد ان تنبه قراءها دائما الى ان الوطنية الحقة ، الوطنية الحكيمة النافعة ، لا تقتصر على التغني بامجاد الوطن بل تلتفت الى آفاته وآثامه حتى يؤدي الانتباه لها الى محاولة علاجها وتطهيرها .

والنقاد الانجليز حين يصفون كاتبا او شاعرا او انتاجا ادبيا بانه « وطني » لا يعنون كما قد تظن انه يقتصر على تمجيد الوطن ، بل يعنون ان من اقوى عواطفه التهابه بلهيب الغضب الوطني الذي يحمله على الادانة القوية لعيوب وطنه حثا منه لمواطنيه على تلافيها . والنقاد والمفكرون والمؤرخون الانجليز في طول تجربتهم ونضج بصيرتهم لا يقرون بهذا فحسب ، بل يبلغ بهم الامر انهم حين يجدون اديبا وصل غضبه على نقائص وطنه ومواطنيه الى انه ذمه وذمهم في شعره ونثره ، وتبرأ منه ومنهم واعلن الخروج عليه وعليهم ، لم يسرعوا الى قبول دعواه هذه بسذاجة ، ولم يتهموه بالخيانة والمروق ، بل فهموا الاسباب العميقة التي دفعته الى ذلك الذم والخروج والرفض ، واقروا بأن صيحته الغاضبة هذه هي دليل بلوغه قمة حرارته الوطنية .

والشعوب الناضجة المجربة لا تنفي عن قوميتها شعراءها وكتابها وفنانيها مهما يعلنوا هم رفضهم لها . هي حقا قد تغضب غضبا شديدا من فرط ايلامهم لها ، ولكنها تعود الى قبولهم في صدرها الرحيب والاعتزاز بهم والشكران لما ادوه اليها من منفعة بتمردهم واداناتهم ورفضهم . انظر كيف يفخر البريطانيون بشلي وبيرون ووايلد وويلز وشو ، وليس اقسى من هؤلاء تشريحا لجرائم البريطانيين ونفاقهم وكشفا عن مساوئهم وآثامهم . ولكن كم كانوا نافعين في حمل مواطنيهم على مواجهة هذه النقائص ومحاولة علاجها . لقد ادركت الامة البريطانية ان هؤلاء كانوا انفع لها من المتغنين بالمجد البريطاني والشرف البريطاني والتقاليد البريطانية الجليلة والعدل البريطاني الذي لا يدب اليه فساد.

قد ذكرنا في مقالتنا «ثورة الشكل وثورة المضمون في الشعر المنطلق » ، التي نشرت في عدد اغسطس ١٩٦٤ من مجلة « الشعر » ، ان الشاعر الصادق الشاعرية لا يمكنه بطبيعته ان ينتهي الى الرفض التام لجميع القيم ، ولو قال هو هذا في بعض حالاته، لانه لابد ان يكون مرتبطا في صميمه بعدد من المثل ولولا هي لما كان شاعرا ولما راى العالم رؤية شاعر . وذكرنا ان الشاعر الصادق الشاعرية لا ينتهي ابدا الى رفض وطنه ، وان صاح هو بهذا الرفض في بعض شعره ، والا انقطعت شاعريته مباشرة ، وانما هو يكره أشياء في وطنه تستحق الكره ، ويريد تغييرها الى ما هو افضل . وضربنا المثل بصرخة حافظ ابراهيم بمصر : « ولا انت بالبلد الطيب » .

والى تلك المقالة نحيل القارىء الذي يريد استيفاء هذا الموضوع ، لكن نعود هنا الى شعراء الرفض الذين ظهروا بيننا ، وبرزوا بنوع خاص في ركن واحد معين من اركان وطننا العربي ـ في لبنان . فهل نقبل بسذاجة رفضهم هذا مهما يصيحوا به ويعلوا اصواتهم ؟ وهل نسرع بتكذيبهم وتفنيد اتهاماتهم دون ان نتأمل تأملا عميقا امينا فيما يقولون لنسلم بشجاعة بانه يقوم على قدر كبير من الصدق ، وانه مما سلم « الميثاق » ببقائه في مجتمعنا وسماه « الرواسب المتعفنة للنظام القديم » ؟

بل ان ما يقوله شعراء الرفض فينا قائم للأسف الشديد على حقائق . نحن نسلم بأن حساسيتهم الشاعرية المتوفزة تدفعهم الى ما يبدو لنا مغالاة واسرافا فى اطلاق الاحكام ، لكن ينبغى الا يغفلنا هذا عن تعرف القدر الصحيح من اسباب سخطهم علينا واعلانهم رفضهم لنا . فبدلا من ان نبادلهم سخطا بسخط ، ونسرع الى نفيهم عن قوميتنا واتهامهم بالخيانة والمروق ، يجدر بنا ان نتنبه الى هذه الحقائق ونسلم بها بنزاهة مهما يكن هذا التسليم مؤلما لمشاعرنا . فلنستمع لبعض ما احصاه الاستاذ « عبده بدوى » على ادونيس . وفى كل جملة نقرؤها من هذه الجمل لا نكتفى بأن نقول : هذا غير صحيح او مبالغ فيه مبالغة فظيعة ، بل لنبذل جهدنا المخلص فى تلمس نصيبه من الحقيقة :

الحياة العربية ليس لها محور غير الانحطاط . العربى لا يخرج عن كونه طفلا او هيكلا عظيما . الله فى المنطقة العربية ميت ، وكذلك العالم والانسان . برمز دائما الى العرب بالرمال ، ويدعو الى رفع هذه الرمال . لم يعد هناك التقاء بينه وبين اخوته فى الوطن . وطنه بلاد الرمل والذئاب . ((كانا فى بلادى نصلى كلنا نمسح الاحذية)) . وطنه مصمغ مكسور يسير مشلول الخطا .

« **هى ذى بلاد اجبن من ريشة واذل من عتبة » الخ .. الخ ...**

الاستاذ عبده بدوى يسأل : « هل صحيح ان العربى الآن يقف عاريا كالمعظم ، ويمشى ويتكلم نائما، وانه ليس اكثر من طفل او هيكل عظمى ؟ » وجوابنا على هذا السؤال هو ان هذا لم يعد تام الصحة ، ولكنه ـ واسفا ـ لم يصبح تام الخطأ ، وياليته قد اصبح ! بل لايزال منه قدر مخيف صحيحا ، وبخاصة اذا تذكرنا ارهاف التعبير الشعرى وتوفزه . وهذا هو صميم عمل الشاعر : ان يلفتنا بعنف الى ما يحس به احساسا عنيفا ، وايانا ان يغفلنا عنف تعبيره عن درجته من الصحة .

فاذا قرانا رفضهم لميراثنا الدينى فلنذكر قبل ان نسرع الى ادانتهم ان السبب الحقيقى فى رفضهم هو اساءة استعمال الدين فى معظم عصور تاريخنا على ايدى القومة عليه حتى احالوه الى قوة اضرار وافساد بدلا من ان يكون قوة افادة واصلاح . وحتى جعلوه سندا للظلم ومبررا لاستبقاء الفقر والمرض والجهل . ولقد شرح ميثاقنا كيف حرفت الرجعية رسالة الدين واتخذته ستارا لمطامعها وراحت تتلمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى تقف تيار التقدم .

حقا ان هذا لا يبرر لشعراء الرفض ان يرفضوا الدين نفسه ، وقد كان عليهم ان يفرقوا بين الدين الصافى المنقى وبين ما ادخل فيه واقحم عليه من لى وتشويه وافساد . لكن من واجبنا بعد ان نقول لهم هذا ـ ولا شك ان من حقنا ان نقول لهم هذا ـ ان نعود فنتلمس لهم المعذرة ، ونعقد العزم على ان نطهر الدين مما سبب رفضهم ونتخذ منه اداة لمنفعة المجتمع وتحقيق العدل فيه ومساعدته فى طريق الرقى والتقدم .

كذلك رفضهم لميراثنا الاخلاقى ، ورفض بعضهم للاعتبار الخلقى نفسه . لا نكتفى بتخطئتهم ، بل لنتأمل فى البواعث لرفضهم . ولنذكر النفاق الاخلاقى الذريع الذى سيطر على مجتمعنا قرونا ، والذى لا يزال منه فينا قدر غير قليل . وقد بسطنا القول فى هذه الحقيقة فى مقالتنا المذكورة آنفا ، وشرحنا كيف يدعو الميثاق دعوة صريحة الى معالجتها بما لا يقل عن تكوين قيم اخلاقية جديدة .

كذلك رفضهم لتراثنا الثقافى ، العربى او الاسلامى او كليهما . ليس هذا الرفض الا تطرفا منهم ـ ونحن نسلم بانه تطرف ـ فى التعبير عن سخطهم على ما يشيع فى هذا التراث من الرجعية والجمود ومن الاجداب والعقم فى معظم قرونه وفى الكثرة الغالبة من انتاجاته . وهل نستطيع ان ننكر ان معظم عصور تاريخنا قد سادتها القوى الرجعية وان الكم الاكبر من انتاج اسلافنا شعرا ونثرا قد دمغ بطابع الجمود الفكرى والخلقى والجمالى ؟ فاذا كان رمز ((**الرمل**)) ، الرمل المجدب العقيم ، يغضبنا ويغيظنا ، فلنحول هذا الغضب والغيظ الى عزم اكيد على ازالة اسباب ذلك العقم والاجداب ، من حياتنا واقتصادنا وفكرنا وخلقنا وذوقنا ، حتى يصبح انتاجنا غنيا بالثمار بدل الرمال .

فان اصر القارىء على ان يصدق رفضهم لميراثنا الثقافى تصديقا حرفيا ، فليجبنا على هذا السؤال البسيط : لماذا يستمر هؤلاء فى استعمال اللغة العربية ، ولماذا يضعون فيها عصارة الهامهم الشعرى واضطرامهم العاطفى وكدهم الفكرى وجهادهم

الشكلى ، حتى لقد احيوها واغنوها بروائع من الشعر راينا كيف اقر الاستاذ عبده بدوى ، بذوقه الشعرى الناضج وحكمه الفنى السليم ، بدرجتها من الاصالة والجدة ،والارهاف والاجادة ، والنضج والثراء ؟ او لم تكن خير وسيلة يتخذونها لهدم هذا التراث ان يذروه على فقره واجدابه وعقمه وان يصمتوا صمتا تاما فلا يبذلوا الجهد المضنى فى اثرائه واغنائه بمحاولاتهم الفنية المجددة المخصبة ؟

بل ما راى القارى اذا مضينا فى احتجاجنا خطوة اخرى فادعينا ان هؤلاء الشعراء الرافضين ليسوا الا الثمرة الطبيعية لثورتنا العظيمة الراهنة ؟ وهل كان هؤلاء الشعراء يجرءون على ان يقولوا ما يقولون فى عهود ضعفنا اتام ؟ بل هى القوة الجديدة التى بدانا نتحسسها فى عروقنا ، والثقة الجديدة التى بدانا نشعر بدبيبها الى كينونتنا ، فهى التى تجرئهم على هذا المدى من النقد الذاتى . ان الجبان المتهالك هو الذى يرهب من الاعتراف بمواطن ضعفه اما القوى الآخذ فى خطوات القوة والاعتزاز - نعنى الاعتزاز الصادق الهادىء ، التبجح الصاخب المجعجع - فهو الذى يعترف بمواطن النقص فيه دون ان يخشى من هذا الاعتراف تفتيتا لقوته او زعزعة لروحه المعنوية .

هذه الثورة الكبرى بما بدات تبث فينا من احساس الكرامة الحقيقية ، وشعور العزة الصادقة، وبما بدات تعالج من علل نفسنا وتخلفنا المادى والفكرى والاخلاقى والفنى ، هذه الثورة التى بدات ونجحت وتوطدت فى هذا القطر من اقطار العروبة ، ثم سرى تاثيرها فى كافة اركان العالم العربى ، هى التى تجعلنا اجرا الآن على مواجهة انفسنا على حقيقتها ، واقدر على ما يلح الميثاق فى تاكيد اهميته وضرورته من النقد الذاتى .

لقد قال الاستاذ عبده بدوى أن العروبة ستسير دون ان تقتص من اولئك الشعراء الرافضين ، بل انها تبتسم فى وجوههم الحاقدة . لكننا نحب ان نضيف ان العروبة فى حكمتها النامية ونضجها المتزايد ستتعلم كيف تستفيد من هؤلاء الشعراء انفسهم ، بالتحليل الامين لاسباب حقدهم عليها ورفضهم لها . اذ ذاك ستصير العروبة ناضجة حقا ، ويصير الوطن العربى وطنا يستطيع كل منا ان يفخر فخرا حقيقيا بالانتماء اليه .

اذ ذاك سياتى الوقت الذى ندرك فيه ان اولئك الشعراء كانوا عربا برغم كل ما قالوا وما سيقولون، وكانوا من اعظم فتاتينا نفعا لعروبتنا ، اذ ذاك لن نسلم جميعا بعروبتهم فحسب ، بل سنفخر بما قالوا فينا ، ونعتز بظهور هؤلاء الشجعان بين ظهرانينا ، وان غدا لناظره قريب ...

وربما كان الاسترحام فى موضعه حتى يلين قلبه الجامد ، ولكن القارىء يتردد فى قبول قولها له :

لك فى كيانى صورة منها حياتى تستمد
فاذا بدوت لناظرى فبالسحر كيف تبدو
معنى من الحسن الذى فيه المعانى لا تحد
وبوجهك الصفو الجميل شمائل نفحت وورد
وعلى جبينك هيبة وسماحة وندى ورفد
وعلى شفاهك خشية وتقى وتسبيح وحمد
سبحانك اللهم ! هذا واحد فى الخلق فرد

وعلى هذا النحو يجد القارىء نفسه بين مزيج من العواطف المتضاربة بين الشكوى والغضب والاستعطاف والغزل ويجد نفسه فى حاجة شديدة الى استجلاء تلك المتناقضات التى اجتمعت فيها مشاعر متباينة .

ولست أرى علة واضحة لاخفاء اسم الاديب الشاعر الذى وجهت اليه عاتكة تحيتها الحارة (ص ١٢٩) والمودة بين أهل الفن مذكورة مشكورة .

ومن «نجاة» السفيرة الاميرة ؟ ومن سفير العرب ؟ ومن فتى الشرق العظيم ،وما السفارة التى عاد منها ؟ (ص ١٣٠) ومن المعنى بقولها :

هـذا فتى الشرق العظيم
وذى ركائبه الخطيرة
وقفت له الايام تعنو
وهى هاتفة مشيره
هذا سفير العرب عاد
فباركوا عيد السفيره

لقد كان ذكر المناسبات فى مثل ذلك كفيلا بكشف النقاب عن الغموض فى شعر شاعرة ابرز خصائصها الابانة والوضوح .

بل ربما كان اطراح مثل هذا الشعر الذى فقد قيمته التاريخية والفنية واستنفد غرضه فى حينه وفى مناسبته اولى من اثباته فى ديوان يحفظه الزمان ، ويجد كل قارىء فيه نفسه

بدوى طبانه

اللغة : خطورتها وخطرها

للدكتور مصطفى مندور

استقر العلماء منذ قرون على ان اللغة وعاء الحضارة ، وذلك بحكم قدرتها الضخمة على تسجيل المراحل المختلفة التى مر بها نضال الانسان ضد كل ما عاقه عن التقدم . ولا تقف قدرتها عند تسجيل الماضى والحاضر بل تمتد الى خلق عوالم يستروح فيها الانسان نسمات الراحة والامل . وذلك حين يمكنه خياله من الحياة فيما يعجزعنه بواقعه . وبحكم هذه القدرة التى تمتلكها اللغة كان على الانسان ان يكرس جهدا لدراستها محاولا كشف شىء من أسرارها . ولقد مرت مراحل تلك الدراسة باشواط عدة لعل أقدمها كان ذاك الذى حاول فرض أصل نشأت عنه اللغة . وتنوعت الافتراضات :**قال فريق** بأن اللغة ـ بحكم عظمتها ـ من خلق ١/ أو هى توفيقه (أى وقف الله الانسان عليها) . **وجاءت مرحلة اخرى** قال اصحابها بأن اللغة ـ بحكم انسانيتها ـ حدثت نتيجة لتواضع بنى الانسان واتفاقهم **اما المرحلة الثالثة** فقد نشطت مع الدراسات الاجتماعية القائمة على استخلاص القوانين العامة من ملاحظة الجزئيات المتطورة فقالوا ان اللغة وليدة محاكاة الانسان لأصوات الطبيعة والحيوان وانها كانت تعبيرا عن انفعالاته العفوية ، وقالوا انها مكتسبة ـ او غريزية ـ تنمو مع الحياة الاجتماعية .

وانتهى هذا اللون من الدراسات ، وظلت الافتراضات قائمة لم يرجح احدها رجحانا حاسما لاستحالة الجزم فى مثل هذه القضايا التى تقوم على الافتراض والتخمين . ونشط العقل اللغوى فى مجال أكثر واقعية حين اتجه الى مقارنات اللغات بعضها ببعض للكشف عن انواع الصلات او الوان الصراع التى حدثت بين اللغات المختلفة . ومن هذه المقارنات وضع علماء اللغة نظريات الاسر اللغوية كالهند والاوربية السامية وغيرها . ومع هذه الدراسات المقارنة دخلت الدراسات اللغوية مرحلة التحليل الدقيق لتمييز انواعها ثم لتحديد مميزات كل لغة سواء فى مورفولوجيتها او فى صفاتها . ويمتد هذا التحليل ليتناول الاصوات واجراسها ، ثم ليتناول دلالات التجمعات الصوتية فيما يسمى بالالفاظ وبالجمل . واصبحت دراسة الصوتيات « فونوتيك » ودراسة دلالات الالفاظ « سيمانتيك » من اهم فروع الدراسات اللغوية المعاصرة . ومصدر الاهتمام بهذين الفرعين ان الاول منهما يخدم ـ الى جوار ما يؤديه للدراسات البلاغية ـ اهدافا عملية مثل دراسة اجهزة الارسال والاستقبال ومدى تأثير الذبذبات الصوتية على دقتها . أما النوع الثانى فانه يحاول ان يحل دهشة الانسان امام التنوع الغريب الذى تستطيع الالفاظ ان تبدعه عند تغيير نظمها . ومن هنا كان المدخل الى البلاغة والنقد ومزجهما بالدراسة اللغوية الصرفة .

والحق ان الجهد الذى بذله الانسان عبر القرون الطويلة ليدرك شيئا من اسرار اللغة وكيفية تفاعلها مع النفس البشرية مازال فى حاجة الى المضاعفة ، بل لعلى اقول ان اللغة تمثل اليوم اخطر سلاح يمتلكه الانسان .ومن الوهم أن نتصور أن أسلحة ذرية أو نووية تهدد الكيان البشرى اكثر مما تصنع اللغة حين يساء استخدامها . ان ادوات التدمير المادية لا تكتسب قدرتها الا حين يساندها منطق يبرر الدمار ويحدث التمهيد النفسى الضرورى لمن سيطلقون تلك الاسلحة . ولن تكون هناك وسيلة لاستثارة المدمرين الا عن طريق شحن عواطفهم وعقولهم ، وما من وسيلة لهذا الشحن الا عن طريق عربة اسمها « **اللغة** » ولست اريد أن ابتعد الى الماضى البعيد المليء بالمآسى ، ولكن لنقف لحظة امام اهوال الحرب العالمية الثانية ، وكيف سخرت النازية فلاسفتها واذاعاتها حتى استطاعت ان تحيل الانسان المتحضر الى كائن لا يظمأ الا لدماء غيره وللسيطرة على الآخرين . اكان يمكن ان يسجل التاريخ كل

هذا الهول الا بعد ان اصبحت اللغة طريقا للشر والاذى ! وحتى فى وسط ذاك الجحيم كم من مرة كانت عدة ابيات شعرية او شعارات مما ثبت اقدام الجند فى مواقعهم حتى انتزعوا النصر ، وكم من مرة ايضا كانت بضع شائعات مما فك عزم الخصوم فاستسلموا للهزيمة . ان هذه صورة واحدة من آلاف يزخر بها تاريخ الانسانية .

اما ان عبرنا الماضى لنقف امام حاضرنا ، وجدناه ايضا ينهض على دعامة ثابتة من قدرة اللغة على تحريك الجماهير فى كل مكان . لقد اكتسبت اللغة مع تطور اجهزة الاعلام ، قدرة ديناميكية واضحة . واصبحت الكلمة المسموعة ، عن طريق الراديو او التليفزيون او السينما او اجهزة التسجيل المختلفة من اخطر الاسلحة . وما اعوام الحرب الباردة الا نموذجا لخطورة هذا السلاح « **اللغوى** » ولذلك نهض فريق من المفكرين الذين يحبون الخير للانسان يطالبون بتجريد الثقافة من السلاح . وعبر بيان القاه **جان بول سارتر** فى احد مؤتمرات السلام العالمى الذى عقد فى موسكو عام ١٩٦٢ ، وشهده وفد من جمهوريتنا العربية ــ عن حاجة الانسان الملحة لنزع عناصر الشر من الثقافة : « **اننا نعيش فى وقت اصبحت الثقافة فيه تستخدم كسلاح للحرب . وانا الفت نظركم الى ان بعض الكتاب وبعض رجال السياسة يفعلون ذلك عن وعى ، فى حين يعمل الآخرون تحت سطوة قوى يجهلونها** » ... وما من شك فى ان مثل ذلك النداء يصدر عن ادراك واع لخطر سوء استخدام اللغة كوسيلة لشرح الثقافة ونشرها .

فى ضوء هذا الجو العام الذى يحيط بالانسان . وبصلته باداته للتعبير والتفاهم والسلوك نقف مع دراساتنا اللغوية . واذا كان من العسير ان نتابع التغيرات الهائلة التى تمر بها الدراسات اللغوية الا انه يمكن استخلاص بعض الظواهر العامة التى تظهر فى حقل اللغة واتجاهاتها :

اولا : ان سمة واضحة لابد من ملاحظتها وهى انه مع استمرار نمو الوعى القومى تنشط اللغة . فما من شك فى انه مع تعميق الاحساس بالقومية العربية يرتد الادباء والشعراء الى المعين الاصيل ، الى لغتنا الفصحى ، يستعينون به على نشر مالديهم من افكار وانفعالات . ومع ذلك فان طابع العصر سواء فى اتساع قاعدة الجماهير الراغبة فى المعرفة او فى تنوع أجهزة الاتصال بالناس ، تفرد مجالا لذلك الازدواج الابدى بين الفصحى والعامية ، وقد يحلو لبعض اللغويين ان يطلقوا على ذلك الازدواج لفظة الصراع . واظن ان الروح العلمية الخالصة تؤثر التسليم بالازدواج على افتراض الصراع . ولقد عاشت اللغتان ، وستعيشان أبدا ، ولقد بذلك جهود كثيرة لعلاج القضية ، وقدمت عشرات من الاقتراحات سواء فى المجمع اللغوى أو الجامعات او المحافل الخاصة ،ولم تقو كلها على فرض حل عملى الوضع . وما اظن الا استمراره حتى وان وهم بعضنا أن فى قدرة الزمن وانتشار التعليم اكتساح اللهجة العامية . وظاهرة الازدواج فى الانتاج الادبى سواء فى مجال المسرحيات أو القصص وربما الشعر ، تؤكد تواكب اللغتين ، وان كان من الواضح أن كفة الفصحى راجحة . واحسب ان ضخامة اجهزة الاعلام والصحافة سيرفعان بعضا من الحجب التى بين اللغتين ، دون ان يعنى ذلك ــ فى تصورى ــ اختفاء لهجة الكلام فى عصر من العصور .

ثانيا : ان هذه الملاحظة تأتى مع ملاحظة ثانية لابد من ان نسجلها . ونعنى بها اتساع مجال الترجمة . فقد تنوعت الاتجاهات وامتدت الى مجالات جديدة كالاقتصاد والسياسة والفكر الاشتراكى والحضارات والفنون المختلفة . ولا شك فى أن هذه التراجم المختلفة تعتبر كسبا لحصيلتنا اللغوية . فهى حقل يعمل فيه العقل اللغوى لوضع مفردات ومصطلحات جديدة اما عن طريق القياس او الاشتقاق او النحت او التعريب . وأن تكن هناك حقيقة ما زالت تقلق المفكرين واللغويين وهى تعدد الترجمات واختلافها بالنسبة للأصطلاحات العلمية أو الفنية ، وفى هذا المجال اعتقد أن الزمن والنضج كفيلان ــ دون شك ، بصقل المواضع التى يدور حولها الاختلاف . وكما تنوعت التراجم فى العلوم والفنون فان مجال الادب قد شهد فى الاعوام الاخيرة ترجمة مسرحيات الطليعة التى استقر العرف اللغوى على تسميتها « باللامعقول » . وبصرف النظر عن مضمون هذه المسرحيات من الناحية الدرامية البحتة، فان ترجمتها كشفت امام لغتنا لونا جديدا من التعبير اللغوى الذى يستغل اللغة باعتبارها مجرد ركائز يقفز عليها الفكر سريعا من نقطة الى اخرى دون وقوف امام العلاقات اللغوية التقليدية التى تتطلبها اللغة المعقدة . وقد نسج فعلا فريق من

ادباتنا على منوال تلك المسرحيات . واثمرت التراجم والتاليف عن عدة ظواهر لغوية تتراوح فيما بين الاستعمال الرمزى الواضح والاستعمال الغامض . وبين الرغبة فى تخطى دلالات الالفاظ المألوفة للدخول بها فى اعماق جديدة بحثا عن نوع من المزاوجة بين النفس البشرية — التى تمكننا المعارف المتزايدة من الغوص فيها — وبين عصرنا الذى يدفعنا العلم المركب الى ادراك تعقيده .

ثالثا : الظاهرة الثالثة التى يمكن الوقوف عندها هى ظاهرة التخصص اللغوى . واعنى بها انه مع دقة التخصص التى يتجه اليها عصرنا ظهر مايمكن تسميته « باللغات الخاصة » فعالم الطبيعة وعالم الكيمياء مثلا اصبح كل منهما يفرض على اصحابه قاموسا معينا ، بمصطلحاته ومفرداته . ونفس الشىء فى عالم الفن والادب . ولذلك يخاف بعض اللغويين ، وخاصة فى المجتمعات التى بلغت فيها هذه التخصصات حدا واضحا من التمييز — من الوصول فى يوم من الايام الى عدة لغات داخل اللغة الواحدة : فلغة لعلماء الطبيعة ولغة لكل علم من العلوم كالكيمياء والطب والفلسفة الميتافيزيقية والمادية . وهكذا حتى ليستحيل — فى رأى الخائفين — على عامة الناس بماقيهم من متقفين فهمهذه اللغات . واذا كان هذا التوجس لا يعدم مبرراته الا ان طابع العصر الذى يدفع بالجماهير الى التحكم فى المصير البشرى سيحتم على العلماء — أرباب هذه اللغات — بذل جهود دائمة لتوصيل معارفهم الى اوسع الدوائر مما يبدد ذلك الخوف . كما أن ازدياد تأثير وسائل الاعلام والاتصال العام سيوثق بالتأكيد الاتصال بين بنى البشر .

رابعا : يتولد عن الظاهرة السابقة ظاهرة أخرى لا تقل شأنا فى مجال الدراسات اللغوية . وهى انه مع اتجاه العصر الحديث نحو العناية بالعلوم البحتة مثل الهندسة والكيمياء فان المجتمعات تدرك ببديهيتها النافذة استحالة قيام اى مجتمع على العلوم وحدها . ومن هنا يجىء الاهتمام بالاداب والفنون . وجمهوريتنا لا تشذ عن ذلك . فرغم اخذها الجاد للعلوم فهى آخذة بجد فى تنشيط الادب والدراسات الانسانية كلها .

وطبيعى ان العلوم الجديدة النامية — كالنسبية والثقافة النووية مثلا — تستلزم تفكيرا منطقيا جديدا ، وهذا يستلزم بدوره طريقة جديدة للتعبير . وقد سجلت اللغات الكثير فى هذا المضمار .

واحسب انه لابد ايضا من الوقوف أمام المهام التى تقع على عاتق اللغويين ازاء هـذه الاحداث الخطيرة التى تحيط باللغة سواء كاداة للتعبير أو اداة للتسجيل . وما يمكن ان اقوله الآن اركزه فيما يأتى :

١ — ان ينشط الاتجاه الرامى الى نشر تراثنا القديم ، وتحقيق مالدينا من المخطوطات فسيستحيل علينا معرفة تراثنا اللغوى —والفكرى— معرفة مطمئنة قبل ان يتم نشر هذا التراث وضبطه . ويودى لو اتجهت الجامعات — الى جوار الاجهزة الاخرى — لتشجيع كل من يتقدم للدراسات العليا فى مجال الادب واللغة — على نشر مخطوط ودراسته دراسة علمية فى نطاق دراسته . فمثل ذلك المنهج كفيل بتغطية شىء من الحقل . وان كان من الطبيعى ان ذلك يحتم على الجهات المعنية بهذا الامر توفير الامكانيات لطلاب الدراسات العليا .

٢ — لابد من العناية بدراسة اللهجات المختلفة فى الوطن العربى ليتبدد الخطأ الشائع من ان اللهجات لا تنتظم فى قواعد قياسية ونحوية . واظن انه لو استطعنا دراسة اللهجات دراسة منهجية ورددنا المفردات والقواعد الى اصولها وقارناها بغيرها فسنستطيع عندئذ تصور كيفية تحديد الملامح المشتركة بين لغة الحديث ولغة الكتابة . بل ان ظروفا حضارية واجتماعية تدفعنا دفعا للعناية بمثل هذه الدراسات اللهجية . ولآخذ مثالا واحدا : ان منطقة واسعة كالنوبة التى عاشت دائما فى شبه عزلة توشك امام زحف التطور الجديد ببناء السد العظيم على الاختفاء . وسينتقل سكانها من عزلتهم الى جو حضارى جديد ، بمواصلاته واجهزته وحياته . فمن الواجب اذن تسجيل لهجات تلك البلاد ودراستها قبل أن تختفى مع الامتزاج بالحياة الجديدة . ويتبع نفس المنهج بالنسبة لسكان الواحات والوادى الجديد والقرى التى تزحف الحضارة اليها زحفا سريعا مع نهضتنا الكبرى . لا بد اذن من الاسراع بتسجيل هذه اللهجات ثم يتوفر المختصون على دراستها قبل أن تلحق بلغات اندثرت دون أن تختلف أثرا . ان مثل تلك الدراسة ستعطينا تصورا قريبا لحضارة متحدثيها وسيكون لها دون شك

(البقية على صفحة ٢٤)

التدرج فى التشريع الجنائى الإسلامى

• بقلم : أحمد فتحى بهنسى •

ان سياسة التجريم التى ينتهجها اى مشرع وضعى تأتى تدريجا وخاصة اذا كانت الافعال التى يخضعها للتجريم مباحة فى الأصل .

وهذه السياسة هى التى سبقت بها الشريعة منذ القدم ونذكر من امثلة التجريم التى يظهر فيها هذا التدرج التشريعى فى الشريعة الاسلامية — حد الزنا :

قال الله تعالى :

« واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا »

والفاحشة فى اللغة عبارة عن كل فعل تعظم كراهيته فى النفوس ويقبح ذكره فى الالسنة فهى الفعلة القبيحة . وفى هذا الموضع تقصد بها « الزنا »

وكان الزنا فى اللغة معروفا قبل الشرع مثل اسم السرقة والقتل ، وكان زنى النساء فاش وكان لاماء العرب وبغايا الوقت رايات ، وكن مجاهرات بذلك .

وهذه الآية اول مانزل فى ابتداء الاسلام على ماقال عبادة بن الصامت والحسن ومجاهد .

وقد اختلف الفقهاء بالمقصود بكلمة « نسائكم » فقال البعض : ان المراد بذلك الزوجات .

وقال آخرون : المراد به الجنس من النساء .

وقد قال المحققون من علماء المالكية : ان الحكمة فى قوله تعالى « من نسائكم » بيان حال المؤمنات ، كما قال تعالى : واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، يعنى المؤمنين .

فمن يأتين الفاحشة من هؤلاء يستشهد عليهن اربعة شهود عدول ، فان شهدوا بذلك يسكن فى البيوت اى يحبسن فيها .

وقد اختلف فى الامساك ، هل هو حد ، او توعد بالحد على قولين :

قول : بانه توعد بالحد .

وقول : بانه حد ، قاله ابن عباس والحسن .

وزاد ابن زيد انهم منعوا من النكاح حتى يموتوا ، عقوبة لهم حيث طلبوا النكاح من غير وجهه .

وهذا يدل على انه كان حدا بل اشد ، غير ان ذلك الحكم كان محدودا الى غاية وهو الأذى الذى ورد فى الآية التالية :

قال تعالى :

واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما .

وكلمة « يأتيانها » مقصود بها الفاحشة . قال قتادة والسدى « فآذوهما » معناه التوبيخ والتعبير وقال فرقه : هو السب والجفاء دون تعبير .

وعن ابن عباس : انه النيل باللسان والضرب بالنعال .

وقد اختلف العلماء فى تأويل الآيتين :

قال البعض منهم مجاهد : ان آية « واللاتى يأتين الفاحشة » فى النساء عامة محصنات وغير محصنات والآية الثانية « واللذان يأتيانها منكم » فى الرجال خاصة من احصن منهم ومن لم يحصن . فعقوبة النساء وردت فى الآية الاولى ، وهى الحبس . وعقوبة الرجال وردت فى الآية الثانية وهى الاذى . وقد اختار هذا القول النحاس ورواه عن ابن عباس .

قال السدى وقتاده وغيرهما : ان آية « واللاتى يأتين الفاحشة » هى فى النساء المحصنات ويدخل معهن من احصن من الرجال بالمعنى . وآية « واللذان يأتيانها منكم » فى الرجل والمراة البكرين .

وقيل : كان الامساك للمراة الزانية دون الرجل ، فخصت المراة بالذكر فى الامساك ثم جمعا فى الايذاء .

قال قتاده : كانت المراة تحبس ويؤذيان جميعا ، وهذا لان الرجل يحتاج الى السعى والاكتساب .

قال الجصاص :

قيل فى ترتيب الآيتين وجهان :

الوجه الأول :

ماروى عن الحسن ان قوله تعالى : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » نزلت قبل قوله تعالى : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » ثم امر ان توضع فى التلاوة بعده فكان الاذى حدا لهما جميعا ثم الحبس للمراة مع الاذى .

وهذا بعيد ، والذى يقتضيه ظاهر الخطاب ان يكون ترتيب معانى الآيتين على حسب ترتيب اللفظ ، فاما ان تكونا نزلتا معا واما ان يكون الاذى نازلا بعد الحبس ان كان المراد بالاذى من اريد بالحبس من النساء .

الوجه الثانى :

ماروى عن السدى ان قوله تعالى «واللذان يأتيانها منكم» انما جاء حكما فى البكرين خاصة والأولى فى الثيبات دون الابكار .

الا ان هذا قول يوجب تخصيص اللفظ بغير دلالة وذلك غير سائغ لأحد مع امكان استعمال اللفظين على حقيقة مقتضاهما .

وعلى اى وجه تصرفت وجوه الاحتمال فى حكم الآيتين وترتيبهما فان الامة لم تختلف فى نسخ هذين الحكمين عن الزانيين . والصحيح ان النسخ كان بحديث الرسول المروى عن عبادة بن الصامت .

قال ابن عباس : انزل الله سبحانه بعد ذلك :

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

وبذلك نسخت هذه الآية آية الحبس وآية الاذى اللتين وردتا فى سورة النساء .

وقيل : لانسخ بل آية النور مفصلة للآيتين فى النساء .

وقد بينت الآية الأخيرة عقوبة الزنا ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام كما سلف القول قد قال فيما روى عن مسلم وغيره عن عبادة بن الصامت :

« خذوا عنى ، خذوا عنى : فقد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائه والرجم » .

والسبيل الذى نص عليه فى هذا الحديث هو اشارة للسبيل الذى نص عليه فى الآية التى وردت فى سورة النساء .

قال ابن العربى :

جعل الله حد الزنا قسمين : رجما على الثيب وجلدا على البكر ، وذلك لأن قوله الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما عام فى كل زان ، ثم شرحت السنة حال الثيب ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: قد جعل الله لهن سبيلا ... فقاله سنة وانزل الله الجلد قرآنا وبقى الرجم على حاله فى الثيب والتغريب فى البكر .

وقد قال الزيلعى فى ذلك :

كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نزول سورة النور بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: خذوا عنى ولو كان بعد نزولها لقال : خذوا عن الله ، ثم نسخ الجمع بين الرجم والجلد بقوله تعالى : «فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، فكان الجلد حد كل زان ثم نسخ فى حق المحصن بالرجم فبقى فى حق غير المحصن معمولا به فاستقر الحكم على الجلد فقط فى غير المحصن وعلى الرجم فقط فى حق المحصن ، ولو غرب الامام الجانى بما يرى من التغريب جاز .

وفى كلام الزيلعى نظر ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قال : خذوا عنى ، خذوا عنى قال : « قد جعل الله لهن سبيلا » ، فلم يكن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى اتى به من عند نفسه فقوله « قد جعل الله لهن سبيلا » دليل قاطع على انه بعد نزول آية النور .

ويؤيد ماتقول ماتقل عن **الامام الشافعى** فى رواية الربيع . قال الشافعى :

قال : اخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن عن عبادة بن الصامت .

قال الله جل ثناؤه : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا . واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما »

قال : فكان هذا اول عقوبة الزانيين فى الدنيا ، ثم نسخ هذا عن الزناة كلهم الحر والعبد ، والبكر والثيب ، فحد الله البكرين الحرين المسلمين ، فقال « الزانية والزانى ، فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة »

واحتج الشافعى كما ورد فى الأم بحديث عبادة ابن الصامت فى هذه الآية « حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا » قال : كانوا يمسكوهن حتى نزلت آية الحدود ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم »

بقيت لنا كلمة فى هذا المجال نذكرها باختصار — ونعد بأن نتكلم فيها بالتفصيل فيما بعد — هى آية « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله » فقد نزلت مبينة عقوبة الزناة المحصنين، ويقول الفقهاء ان هذه الآية نسخت تلاوتها ولكن بقى حكمها وهو الرجم ، على ماورد فى الحديث المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بقية المنشور على صفحة ٢١

قيمة كبيرة عند تدوين الاجيال القادمة لمراحل حضاراتنا كلها .

من الغريب انه بالرغم من أصالة دراسة قدمائنا للغة ، وكمجرد أمثلة اذكر أن **الخليل ابن احمد** (ت ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م) كان أول من درس الاصوات وبناء الالفاظ دراسة علمية . وكان وكان **ابن جنى** (ت ٣٩٢هـ/١٠٠١م) ، أول من وقف مع فلسفة اللغة وساق فيها نظريات مازالت أكثر عمقا من بعض مايقول به المحدثون . وكان **عبد القاهر الجرجانى** (ت ٤٧١ هـ/١٠٧٨م) اسبق بكثير من علماء اوربا الى القول بان الالفاظ المفردة التى هى اوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها فى انفسها ، ولكن لان يضم بعضها الى بعض فيعرف فيما بينها فوائد ، ومازال اللغويين يجرون وراءه فى علم التراكيب او السانتكى — اقول انه بالرغم من هذا السبق القديم والاصيل ، فان العصور المتأخرة لم تقدم لدراسات اللغة شيئا كبيرا . وما زال الاجترار صفة غالبة على الدراسات الحديثة . واحسب أن بابا ضخما يمكن أن يدلف منه المحدثون واعنى به العناية بدراسة لغات كبار شعرائنا وكتابنا . لم لا ندرس لغة شاعر من الفحول على حدة مثلا ؟ ولم لاندرس لغة غرض من الاغراض الشعرية المختلفة ولغة الفرق الدينية والاحزاب السياسية ؟ وهلم جرا . ان مثل تلك الدراسات ستكشف لنا حتما عما اضافه هؤلاء الاعلام وعما احدثته الاتجاهات الفكرية . وعندئذ سنستطيع وضع المعجم التاريخى واضحا ، ومحددا بداية ظهور الألفاظ وكيفية تناولها وماحدث لدلالاتها من تطور .

الا ما أشد خطورة اللغة وما أعظم خطرها . وما اولاها من صاحبها بالعناية وعدم الابتذال . وعسى أن تنجح الانسانية فى حماية نفسها من شرور فريق يعبثون باللغة ويزيفون للناس الاعتداد والصلف فيوشكون على دفع العالم الى هاوية حارة ..

دكتور مصطفى مندور

مسلك التبشير في خدمة الاستعمار

بقلم : عبدالله حافظ الخشن

طيرت وكالات الانباء في آونة قريبة خبرا مفاده أن حكومة السودان قررت طرد رجال بعثات التبشير الذين يعيشون في جنوب البلاد . بعد ان تجمع لدى المختصين أكثر من دليل على أنهم وراء كل فتنة طائفية ومصدر كل مؤامرة انفصالية .

ولقد امتعضت فور قراءتي لذلك النبأ المثير . واحسست بمرارة تفيض من حلقي الى قلبي ولساني - لا لان هناك فتنا تدبر او مؤامرات تحاك ، فذاك امر مشاع اصبح يجرى في ايامنا مجرى العرف في حياتنا ، ولكن لأن تلك الجرائم البشعة ترتكب تحت ستار من الدين ، وهو أقدس ما في الحياة ، وتنسب الى نظام ، المفروض منه انه يحمل مشعل الهداية ، يفرش بضوئه طريق الناس بالمسرة والسلام على هدى من التعاليم المسيحية وصلواتها المحببة : « طوبى لصانعي السلام » .

والتبشير هو الدعوة الى عقيدة من العقائد بالحسنى والاقناع . وهو بهذا المعنى وفي هذه الحدود واجب ملقى على كاهل كل صاحب عقيدة يؤمن بها ، ويهب حياته لخدمتها . ومن ثم فغايته شريفة ليس كمثلها غاية . وعندما تكون العقيدة دينية فرجال الدين هم اول المطالبين بنشرها والتبشير بها في حدود الهدف النبيل ، وباسلوب شريف تقتضيه طبيعة الرسالة وتحتمه قدسية الميدان ، وما دام الدين كله لله ومن الله ، ولا خلاف بين العقائد السماوية على المبادىء الاساسية للحياة فلا مجال لمشاحنة اوصدام.... الا ان التبشير كما يحدث في بلادنا وكما نعرف في قارتنا قد خرج - أو أريد له أن يخرج - عن حدود الرسالة ، وتجاوزها في كثير من الأحيان الى النقيض تماما مما يجب أن تكون عليه خطته وأن توجه اليه عنايته . حتى انه ليصعب الاعتقاد ان الذين مارسوا تلك الانحرافات هم رجال دين أصلاء أو جنود تبشير فعلا . وانما نحن لا نستبعد اندساس الجواسيس والمخربين بينهم ، وغيرهم ممن ييسر لهم تأدية مهامهم أن يتزيوا بلباس الدين ، ويختفوا وراء واجهته ، لأن الدين - أي دين - يبرأ من التمويه والخداع اللذين انتهجهما التبشير في عديد من الأنحاء .

ونظرة عاجلة الى صفحات التاريخ عن الحروب الصليبية تعطينا الحق فيما انتهينا اليه آنفا . فلقد كان بعض الرهبان من الموتورين أو الطامعين هم دعاتها وقوادها ، وهم الذين اججوا نيرانها باكذوبة من صنعهم : الا وهي تأمين طريق الحجاج المسيحيين وحماية الأماكن المقدسة من خطر موهوم في فلسطين ، وارتكبت أمام أعينهم وتحت أسماعهم مذابح جماعية يندى لها جبين البشرية قال عنها المؤرخ ابو الفداء : « انه لما سقط بيت المقدس في يوليو سنة ١٠٩٩ استمر الفرنج يقتلون من المسلمين في داخل المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا من بينهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين .. ولم ينج من القتل الا من استطاع الفرار الى بغداد . وكان الوقت رمضان . فلما وصل المستنفرون اليها اجتمع أهلها في المساجد يستقبلون الألوف الفارة . واستغاثوا وبكوا حتى انهم افطروا من عظم ما جرى عليهم ... » كل ذلك والرهبان في شغل عن واجبهم الديني فرحين بمفاتيح بيت المقدس وبما يمكن أن تجربه عليهم ناسين أو متناسين ان الدين يدعو الى التسامح بأوسع معانيه ويأبى كل تلك الجرائم البشعة ويبرأ من مرتكبيها ويرتد خجلا عن مشاهديها ... ولما انتهت الحروب الصليبية بعودة الغزاة الطامعين وبسيادة الحق وأصحابه وبدا الاستعمار يكشر عن أنيابه ويستكلب نحو الغزو وما تبعه من سيطرة على الموارد وتصريف للانتاج ، اكتشف رجاله الأذكياء امكان استغلال التبشير في تحقيق

الاهداف وتذليل الصعاب فاستغلوا ما خلفته آثار الهزيمة وعودة الكثيرين من الرجال الى كنائسهم . ولم يمانع بعضهم في القيام بذلك الدور ــ ان طمعا في مادة أو سيطرة ، وان رغبة في خدمة الدين أو ممارسة عمل ــ أي عمل ــ خارج الحدود ... وفي هذا الصدد يقول « اللورد بلفور » وزير خارجية بريطانيا ابان الحرب العالمية الأولى : « ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في امور هامة . ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات » . ويكمل (اللورد اللنبي) الصورة ليعطينا مزيدا من الأسانيد والمبررات . فيكون أول عمل له في فلسطين ، بعد أن دخلها بالجيوش العربية التي حاربت تلك الحرب مع أمته ــ أن يتجه الى قبر البطل الرابض « **صلاح الدين** » ويقف فوقه ويقول : « اليوم ــ فقط ــ انتهت الحروب الصليبية ، وهانذا يا صلاح الدين أقف على قبرك وحذائي فوق رأسك » ويومها كانت الحروب الصليبية قد انتهت منذ أمد بعيد ، وتعاقبت على زمانها أجيال وأجيال . وهكذا قدر لمرابض الاسود ان تكون مزارا لمن لا يرعون حرمة الميت ولا يقيمون وزنا للبطولات كي ما يتنفسوا عن أحقادهم ، ويكشفوا عن معادنهم أول البرجراف

وتتبع الدوافع السياسية يفسر لنا كثيرا من المسالك المريبة التي أتقنها التبشير لخدمة تلك المخططات بينما كان المفروض أن يوجه الدين ورجاله السياسة ومحترفيها وليس العكس . والتاريخ القريب في افريقية يوضح لنا كيف ان الانجليز ــ كغيرهم ــ اتخذوا من التبشير مطية لتكوين المستعمرات . فكانت ارسالياتهم تجوب البلاد برجال دربتهم وزارة المستعمرات حتى صاروا كالحرباء يتلونون بكل لون ويتظاهرون بكل ضعف . حتى اذا ما كونوا بسلوكهم ووسائلهم عددا من الزنوج المتنصرين دربوهم على القتال ، وقادوهم لارتياد بلاد أخرى بحجة مكافحة الكفر والمروق . والحقيقة المجردة ان الغرض الرئيسي لتلك الحملات لم يكن سوى جلب الخيرات ونهب الثروات وتركيز دعائم الاستعمار . كما توضح ذات الدوافع الأسباب الجذرية لفرية ظالمة انتشرت بواسطة من يدعون التبشير بين رجال القبائل في (الكونغو) حيث ألقى في أذهانهم عن المصريين انهم سفكة دماء المسيح ومرتكبو جريمة صلبه .. وعلى ذلك لا يجوز التعامل معهم ولا يجب الجلوس اليهم . وواضح ان الدافع لتلك الفرية في مبتدئه ومنتهاه لم يكن سوى اثناء عزم رجال قواتنا المسلحة عن القيام بدورهم المجيد في خدمة شعب الكنغو والسير به نحو الوحدة والحرية وصولا الى بر الأمان . ولم تكن تلك الفرية الا واحدة من عقبات كثيرة وضعت في طريق الرسالة التي كان على رجالنا أن يقوموا بها . كل ذلك حتى يبقى للاستعمار نفوذه واستغلاله وتظل للمصالح تحكمها وسيطرتها .. ولا شك ان الدين المسيحي والمخلصين من رجاله تقشعر ابدانهم وتشمئز نفوسهم من مجرد سماع ذلك الافتراء المتعمد ومن ردده في غير استحياء .

ومما يؤيدنا في دعوانا أن التبشير قد خرج عن غرضه الأصلي واعرض عن مجاله القدسي احصاء الأماكن التي كثر فيها انتشاره .. ولن نعجب اذا وجدناها اليوم بلادا خاضعة ــ اوكانت ــ للنفوذ الاستعماري . لان التبشير كان بحكم ــ ماأريد له ــ مقدمة أو مرحلة للاستعمار ... ويدعونا هذا المسلك المشين لأن نتساءل بحق : ألم تكن مجتمعات الغرب الأصيلة التي نبع منها التبشير أولى بالهداية وأحق بالجهد دفاعا عن المبادىء الدينية المترنحة في ارقى المجتمعات وأعم المجالات ؟ . بعد أن التهمت الفردية ــ نفوس الناس هناك ــ وحطمت الأنانية عواطفهم ، وشتت الالحاد ضمائرهم ، وقضت الاباحية واللامبالاة على ما بقي فيهم من امل وأمن وبعد ان سيطرت المادية سيطرتها الرهيبة متسمية بالمدنية أو التقدم .. فعم الفسق والسفور ، وساد الانحلال والفجور ، وخرجت تلك المجتمعات الى الدنيا في عصرنا نماذج بشرية للدعارة الخلقية لم يسبق لمثلها وجود .. كما تجاوز الانحلال الخلقي هذا المدى الى مدى اكثر بشاعة فيفرق بين الانسان والانسان في الحقوق لمجرد اختلاف لونه الذي خلق عليه بلا جريرة منه .. وكان الجوهر الانساني ــ هناك ــ يتغير تبعا لما اذا كان لون الجلد اصفر أو اسود أو أبيض ، كان الكرامة البشرية تختلف درجاتها باختلاف الاجواء والظروف .. ووصل الامر الى حد تكوين العصابات المسيحية المسلحة في ارقى بلاد العالم حضارة لمقاومة قانون الحقوق المدنية

الصادر اخيرا ليكفل للزنوج بعض المساواة بعد ان ناءت كواهلهم تحت اعباء التفرقة ردحا طويلا من الزمن حيث طوعت للرجل المسيحي ـ ابن المحبة والسلام ـ نفسه ان يعلق على باب محله لافتة تقول : « ممنوع دخول الكلاب والزنوج » ·· بل ان الضمير الديني ليستصرخ رجاله أن يتجهوا اولا الى رجال الحكم في بلادهم للفت انظارهم الى بشاعة ما يرتكبون وفظاعة ما يأتون كل يوم عندما يوجهون الى الوطنيين في كل مكان من العالم الضربات الانتقامية القطيعة · مستخدمين اقسى انواع الاسلحة الفتاكة ـ الممنوعة قبل المباحة ـ زجرا وردعا لمن ينادي صوته بالحرية لبلده أو يطالب بالمجاملة الانسانية التي هي حقه في الحياة او يقف في سبيل استنزاف الثروات وعرق الجباه وتحويلها الى سبائك من ذهب ليعم بها ومنها الخير للدخيل المتمكن بينما اصحاب الحق الشرعي يتضورون جوعا ويرتجفون عريا ·· ولو ان للدين المسيحي أثره أو سلطانه في تلك النفوس ماكان يمكن أن يحدث هذا او ذاك ولا شيء منهما ·

ولكي يحقق التبشير اغراضه المستترة ومراميه الخفية في الاماكن التي ارتادها سلك المسالك المتنوعة ولبس لكل حالة لباسها ·· ومن اهم وسائله واشهرها سلوك سبيل التعليم المدرسي في معظم مراحله للذكور والاناث · ونشطوا في هذا الميدان الى اوسع مدى فاكثروا من المدارس ووزعوها في جميع الانحاء لغرس الثقافة الغربية في النفوس والعقول خلفا لجيل ـ أو أجيال ـ مشبعة بمبادئهم مقتنعة بأهدافهم ·· وتدور من حيث لا تدري في افلاكهم · وايضا يهدف جعل الجيل الذي يتعلم طبقات متنافرة وطوائف متنازعة · وقد احدث ذلك التنافر أثره عندنا في مصر ، ولعب دوره في تأخر نهضتنا وفي بعدنا عن العمل الايجابي لعدم تبلور مجتمعنا ولعدم استقراره لتلك الاسباب ولقد عبر السيد الرئيس عن ذلك بحق في فلسفة الثورة حين قال : « صحيح اننا كدنا ان نفقد توازننا في بعض الظروف ولكننا بصفة عامة لم نقع على الأرض ، وأنا أنظر أحيانا الى أسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التي تعيش في العاصمة : الأب مثلا فلاح معمم من صميم الريف والام سيدة منحدرة من اصل تركي · وابناء الاسرة في مدارس على النظام الانجليزي ، وبناتها في مدارس على النظام الفرنسي ·· كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين · انظر الى هذا واحس في اعماقي بفهم للحيرة التي تقاسيها والتخبط الذي يفترسنا » ومما يؤكد خطر تلك المدارس وخطورة الميدان الذي تعمل فيه ان الدول التي تحرص على سيادتها واستقلالها تنبهت لتلك المسألة فرفضت اقامة مدرسة اجنبية واحدة داخل حدودها · فلا تجد في فرنسا مثلا مدرسة انجليزية ولا تجد في «انجلترا» مدرسة فرنسية · بل ان دولة اللقطاء والأفاقين (اسرائيل) لم تسمح لاية دولة من الدول ـ حتى لتلك التي ساهمت في اقامتها ـ بانشاء مدرسة اجنبية فيها ·· ولم يقتصر الامر بطبيعة الحال على هذا الميدان لتحقيق المآرب وانما امتد ذلك الى ميادين اخرى كثيرة ومتشعبة : منها سلوك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات والملاجيء ومنها استخدام النشر والطباعة واعمال الصحافة والسينما والتمثيل · وكلها اعمال ظاهرها الخير وباطنها شر مبين يعصف بالقومية ويشتت الفكر ·

ولقد ساعد المبشرين على النجاح ـ لحد ما ـ عوامل كثيرة اجدرها بالاشارة عاملان **الاول** : خاص باوطاننا وهو التسامح الديني الاسلامي وابرز مثل له في ارضنا المصرية ان الاحتفال الديني الرسمي بالمولد النبوي الشريف كان يترأسه رجل مسيحي هو « بطرس غالي » رئيس الوزراء الذي مكن للاستعمار ووقف حياته على خدمته حتى اغتاله الشباب الوطني المصري جزاء وفاقا لشروره وخياناته ·· ومع هذا وجد من رمانا بالتعصب الديني كمبرر للتدخل بدعوى حماية الاجانب · اما العامل **الثاني**: فهو المقارنة غير العادلة ـ التي عمد اليها رجال التبشير ـ بين حال الدول المختلفة التي يمارسون فيها نشاطهم وما هم فيه من تخلف وضعف وبين حال الاوربيين وما هم عليه من تقدم وقوة · مرجعين ذلك الى مسيحيتهم ، وذلك قياس فاسد ومغالطة مكشوفة لانه لا يجوز الربط بين الحالة المادية لتلك الشعوب في بعض العصور وبين حقيقة

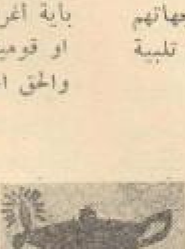
معتقداتهم . كما انه لا يمكن الربط بين اوربا الحالية وبين تعاليم المسيحية والا جاز الربط بين التقدم الحضارى الهائل لبعض شعوبها وبين المعتقدات اللادينية التى اقترنت بتلك النهضة وينبغى ألا ننسى ان التاريخ عرف حضارات عريقة وجدت قبل وجود الاديان .

تلك هى حقائق التبشير كما لمسناه وعرفناه . يكشف عنها التاريخ والدافع والأسلوب والمكان . وفيه ما فيه من خروج كلى على تعاليم الدين ومبادئه المقدسة .. ومع ذلك فان اليوم الذى يزال فيه القناع وتبدو الوجوه سافرة لا يحجبها لثام — قد جاء فى اكثر من مكان . وفى سبيله الحتمى الى باقى الجهات طال الانتظار أم قصر . وها نحن اذ نمد البصر من حولنا نشاهد عن كثب المارد الذى انتفض جبارا فى كل المستعمرات الافريقية يملأ الاسماع والابصار ويشهد الدنيا انه لا الاستعمار المباشر ولا اسلوبه المقنع استطاعا ان يحجبا النور الى الابد . حتى اصبح التبشير اليوم فى وضع لايحسد عليه — باعتبار ذلك نتيجة طبيعية للأخطاء التى وقع فيها فأفقدته القدرة على الاتجاه الصحيح — ولم يبق أمامه — بعد انكشاف أمره — الا التخلى عن أساليبه العتيقة التى لم تعد تنطلى على أحد ، والعودة الى الدين الحقيقى والى المجتمعات الأصلية وليبحث اربابه عن نظام آخر — ان لم يكن من ذلك بد — يلائم الروح المعاصر ، والمستوى الحاضر .

وتحياتنا من هنا الى الرئيس الغانى « **قوامى نكروما** » الذى أبدى رغبته الى قداسة البابا « كيرلس » لبحث امكانيات رعاية الكنيسة المصرية للكنائس الافريقية . بعد ان ضاق ذرعا بمسالك التبشير ونشاطه فى خدمة الاستعمار الذى لم يعد خافيا ، اذ انفضحت حقائقهم ووجهاتهم وما نحسب قداسة البابا الا مسارعا الى تلبية النداء .

ولكم كنا نود من صميم قلوبنا ان نختتم هذا المجال لنشيد بالدعوة الجديدة المنتشرة الآن فى « اوروبا » للرجوع الى الكنيسة ولو بالعنف . وان نحييها ونتمنى لها النجاح من صميم قلوبنا اعزازا للمبادىء المسيحية الجديرة بالتحية والتقدير ، لولا انها — فى حقيقتها — محاولات حديثة الى صليبية جديدة ، وكأنها مرحلة جديدة قديمة لخدمة الراسمالية الغربية بعد ان افلست بضاعتها واوشكت على الاحتضار . فرأت انه لم يعد امامها لكى تعيش الا أن تصرف الناس عن مشاكلهم الاصلية ، مفتعلة مشاكل جديدة تستنزف بها جهد الجماهير لتامن غضبتها الكبرى — التى لا بد لها من ساعة — فتدفع الناس — بالتضليل والتلفيق — الى خوض غمار الصراع ومواجهة الحركات التحريرية تحت ستار الدفاع عن الدين ، ومجابهة ثورات الملونين باسم محاربة الوثنية ، ومقاومة النظم الاشتراكية بدعوى مقاومة الردة والمروق .

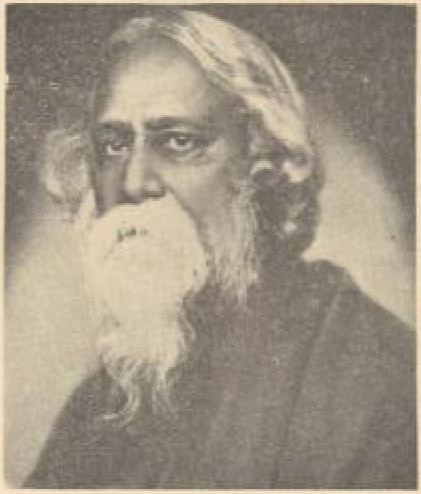
وازاء كل ما تقدم من خروج للتبشير عن نطاقه الطبيعى وحيدته عن الصراط السوى . وانصرافه الى خدمة المصالح الاستعمارية غالبا والخاصة احيانا فانه يتحتم علينا ان نضع فى تخطيطنا الفكرى خطة محاربته ومقاومته باعتباره وجها من وجوه الاستعمار وجزءا لا يتجزأ منه .. كما انه ينبغى أن نولى مزيدا من العناية لنشر دعوتنا العقائدية المنزهة عن كل غرض متوسعين فى ارسال البعوث الى كل مكان لننشر النور والايمان ، على أن نظل حريصين — كما كنا دائما — على الابتعاد بالدعوة ورجالها عن الارتباط باية أغراض سياسية أو التشيع لأية مصلحة فردية او قومية .. ذلك هو الطريق القويم والسبيل الحق والحق احق ان يتبع واجدر ان يسود .



بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر طاغور

اللغة البنغالية وآدابها

بقلم محيي الدين الألوائي



طاغور

ان **اللغة البنغالية** على ما يرى كثير من علماء اللغات البارزين ، لمتحدرة من اللغة الشرقية المعروفة قديما باسم : « براكريت » ، وشأنها فى ذلك شأن اللغات الاخرى العديدة فى تلك المنطقة ، مثل الأسامية والأورية و « ما يتيلى » وما الى ذلك· وان « براكريت » لفرع هندى لسلالة اللغات الهندية الاوربية · وكانت تستوعب ، الى حد بالغ العناصر غير الآرية سواء فى الكلمات والنظريات والتخيلات والمعانى ، واقدم الامثلة لهذه اللغة الممتازة وآدابها الاشعار المعروفة باسم « تشاريا » ، التى اكتشفها العالم اللغوى الهندى الشهير « مهامهو بادهيا هارابرساد شاستری » ، فى المكتبة الحكومية بمملكة « نيبال » ، ونشرت فى عام ١٩١٦ للميلاد · ويرى البعض أن تاريخها يرجع الى ما بين عامى ألف أو الف ومائتين للميلاد، بينما يقول البعض أن عهدها يرجع الى القرن الثامن الميلادى ·ومهما كانت معركة الآراء حولها وحول تاريخ انشائها فان هذه الاشعار — على أدق التعبير — ليست منشورة فى لغة أدبية فصحى — وما هى الى توجيهات عامية دارجة من معلمى المدرسة البوذية المعروفة باسم : « مهايانا » وتعليمات حول رياضية « يوغا » ، وشروطها اللازمة ·

واما الشاعر الفيلسوف « **طاغور** » فقد تحدث عنها بصفة خاصة خلال محاضراته الشهيرة القيمة عن دين الانسان · وكانت بنغال مركزا بوذيا — الى حد ما — فى القرون الاولى ، ثم تحولت الى مركز هندوكى فى عهد ملوك « سن » من عام ألف الى ألف ومائتين للميلاد · وفى احدى القصائد الحماسية القديمة اى : « سانيا برانا » سطور تتحدث عن اضطهاد البراهمة للبوذيين ، وتطلعهم الى الفاتحين الأتراك كالمنقذين لهم من ضغط المنافسين البراهمة · ويظن — بوجه عام — أن معظم الشعب المسلم فى بنغال — لأجل هذه الاسباب — متحدر من أصل بوذى أكثر مما هو من أصل هندوكى · ان القصائد البنغالية القديمة المعروفة « تشاندى بنغال » للشاعر الكبير « مكوندرام تشاكراوورتى » الملقب « بكاوى كانكاى » فى أوائل القرن السادس عشر أو ما يقاربه من العهد لتمتاز بدقة الوصف وتفاصيل البيان لرجال ذلك العهد ونسائه وطرق الحياة فى زمنه ، وتتجلى فيها كيفية العبادة الشائعة حينذاك للاله « تشاندى » ، وأخبار الابطال والوقائع الحماسية الى جانب أساليب الحياة وطرقها الرائجة فى تلك البقاع من أدق تعبير وأسهله ·

الدور الجديد :

لقد تبرع القرن السابع عشر بشاعرين مسلمين ملهمين فى الادب البنغالى وهما « دولت قاضى » و « سيد علاؤل » اللذان ترعرعا تحت رعاية الملوك المغول « باراكان » وأعوانهم الكبار وتوفى « دولت قاضى » فى عنفوان شبابه ، ولكن بعد أن ترك تراثا خالدا فى الادب البنغالى، وأما علاؤل فقد عاش عمرا طويلا ، وامتازت أشعاره بوفرة العلوم العديدة والتوجيهات الواسعة النطاق ، تلم مختلف مرافق الحياة الانسانية، وقدما كلاهما تحفا أدبية ذات أهمية كبرى للمكتبة البنغالية ، سيما أن أشعارهما تنطوى على حب خالص ، وتشجيع ذهنى انسانى مطلق بعيد عن الشوائب الطائفية أو الدينية أو العنصرية ، وكانت دعوتهما الى الذهن الادبى للادب المحض والحب للحب النقى العام واليقظة لليقظة الطاهرة لضمير الانسان ، واستخدما الآلهة والاديان المتعددة لنشر الفكرة الانسانية المطلقة والنهضة الروحية الخالصة تتطلب النجاة السرمدية·

أتى فى بداية القرن الثامن عشر الميلادى ــ بعد قاض وسيد ــ الفنان القدير « بهارت تشندرا » واستمر نجمه بارزا نحو قرن بأكمله ٠ وكان عبقريا فذا فى كتاباته ومقالاته٠ولكن الدور الراهن حينذاك لم يساعد على ازدهار تبرعاته الادبية والفنية الى حد بالغ ٠ وتلاه فى الميدان الادبى « رامبروساد » الذى حاول من بداية حياته الادبية الكتابة على منوال « بهارت تشندرا » ولكنه لم يفلح فيها كثيرا ، واشتهر صيته فى أوساط الشعب البنغالى بفضل أناشيده الدينية فى مدح « كالى » الهة الحب بطريقة جذابة تعجب جميع طبقات البنغاليين ٠ وهكذا دخل الادب البنغالى فى دور جديد يمتاز عن الماضى ، وبعبارة أخرى تطور هذا الادب من الاساطير والقصص الخرافية ، والملاحم والحماسيات الى دور الحب الطبيعى ،ووصف البدائع فى الكون ٠

الادب النثرى فى البنغالية

يرجع الفضل الاكبر فى النهوض بالنثر فى البنغالية الى مجىء كلية « فورت وليام » الى ميدان العمل فى بداية ذلك القرن ، وكانت الكلية تهدف الى اسداء التسهيلات اللازمة لتدريب المدنيين ، فوضع بعض رجال التعليم حينذاك مثل « وليام كارى » ، و « مرتيون جوى ودهيا لنكار » كتبا دراسية فى النثر البنغالى لأجل هؤلاء المدنيين ، الذين كانوا يتدربون فى تلك الكلية ، وأحرزت هذه المحاولات نجاحا باهرا فى مختلف المواضيع ٠ ولكن النثر البنغالى القوى المنظم قد برز الى حيز الوجود بفضل قلم المصلح الكبير والكاتب القدير «راجا رام موهن روى» بطريق منشوراته التى نشرها يدعو الى الاصلاحات الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وكان «راجا رام موهن روى» متقدما عن زمنه ، ولم يقدر عامة الناس قيمة المبادىء التى دعا اليها ، ورفضوا الاستماع اليها ، ولكن نبذة من فطاحل العقلاء فى القرن التاسع عشر تنبهوا الى قيمة مبادئه وأهدافه ، واهتدوا بهديه ، وساروا فى منواله فى دعواتهم وتعاليمهم الاصلاحية ، وأسسوا بنيان تقدم بلادهم فى النهج الذى سار فيه « راجا رام موهن روى » وكان هذا التطور نقطة تحول فى تاريخ النهضة البنغالية ، وفى تاريخ العهد الانجليزى فى الهند بالقرن العشرين ٠

وأما النثر البنغالى فقد أحرز تقدما ملموسا فى القرن التاسع عشر ودخل الى حقل الجودة والمتانة والتنوع لفظا ومعنى ، ونشأت هناك فى ذلك العصر مدرسة رام موهنية ، عرفت باسم « تتوابودهنى» ٠

الأدب الحديث

ونشأ فى ذلك العصر شاب نشيط يقف فى مقدمة صفوف شباب البنغال الكتاب المهرة وهو « مشيل مادهو سودن دت » الذى اشتهر بكتاباته فى اللغة الانجليزية ، وتبحر فى عدة لغات أوربية قديمها وحديثها ، ويعد « دت » من مؤسسى الأدب البنغالى الحديث ، ومن أوائل الشعراء البنغاليين المحدثين ، وكان بمثابة جسر بين الثقافتين الأوربية والشرقية، بعد أن كانت هناك فجوة تبعد بينهما ، وأصبحت الآداب الأوربية شائعة ومعروفة بين كتابنا وقرائنا بفضل عبقريته ومساعيه الجميلة فى التقريب بين الآداب المختلفة فى العالم ٠

وبعد أن أحرز الأدب البنغالى نجاحا كبيرا واسع الأفق بيد « دت » أتى كاتب بنغالى ملهم آخر ألا وهو « بنكيم تشندراتستندوباهيايا » وكتب رواية انجليزية باسم « راج موهين » وأنتج كذلك عدة روايات عالية القدر ، وذائعة الصيت فى الادب البنغالى ، ولم يمض وقت طويل حتى برز رائدا للنثر البنغالى الحديث ، وحاز مقاليد الكتابة فى عصره ٠

نتيجة لهذا التحول الجديد جاءت مسارح قومية فى شتى أنحاء البلاد تعرض فيها مسرحيات وتمثيليات تدور حول القومية المتزايدة والاحترام البالغ للمبادىء الدينية والأسطورية القائمة فى أذهان الشعب الهندى ، ووضع «بنكيم تشندرا» عددا من الروايات المليئة بالأفكار القومية والحقائق التاريخية الثابتة ، وكلها أو جلها يهدف الى بذر بذور حب الوطن ، والشعور القومى فى أذهان الناس ، ودعوتهم الى التضحية ، والتفانى فى سبيل الوطن والأمة ، وقد ذاع صيته كوطنى كبير ورائد للقومية الهندوسية ، ولا يسعنا الا أن نصرح ببعض الفشل الذى منى به فى الروايات التى كتبها فى أواخر حياته ، مع كونها ذات قيمة كبرى فى شتى النواحى، منها عدم الاعتناء بمواجهة القضايا الوطنية القائمة فى البلاد فى ايامه ، ولكن تعقدا قد بدا فى ثنايا افكاره لم يتسبب مطلقا فى الحط من شىء من حبه العميق للوطن وشدة قلقه على الهوة التى سقطت فيها بلاده فى شتى مرافق الحياة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا ، وكان فى الحقيقة مصدر قوة لكتاب عصره والذى بعده ٠

طاغور والأدب البنغالى

كان طاغور ينحدر من عائلة عريقة في الوقار الذاتي ، وبعيدة عن المباهاة والتظاهر ، مع أن الشاعر الكبير «بهاري لال» قد ترك نفوذا بالغا فى تكوين شخصية طاغور ، وتشكيل عقليته ، ونما رابندرانات طاغور كشاعر طبيعي يملك مواهب شعرية فطرية حرة من شوائب التقليد ، وأدران الخرافات البالية ، وبرز شاعرا ينتمى الى مدرسة « الفن في سبيل الفن » مع مهارة تامة وعبقرية كاملة فى فنه • وبدأ يضع مقدارا قيما من الأناشيد الرائعة الجذابة ، والمسرحيات ، والقصص القصيرة ، والمقالات الجيدة منذ سن العشرين من عمره ، وبعد مدة قصيرة من حياته الادبية ، شعر بضرورة ملحة للخوض في خضم الحقيقة ، ونشدان الحق ، وسبر الأسرار الكامنة فى طيات الطبيعة ، بقلب حازم ثابت ، وعقل متدبر وقاد ، ونتيجة لنشدان الحق، وهروبه وراء الطبيعة ، طبقا للمعرفة والحقيقة الكلية ، وحبه العميق لجمال الخلق ، نشأ فيه الحنين والتلهف الى معرفة اله ، وبعبارة أخرى نحو العرفان ، والحقيقة ، والخير العام ، وادراكه الواسع العميق لحقائق الحياة لم يدعه يعترف بالفوارق القومية ، والوطنية ، مع كونه ينحدر من عائلة هندوسية وطنية تتمسك بالتقاليد القومية ، وادرك بثاقب فكره أن بلاده لابد أن تتبع حياة جديدة ، بعيدة عن التقليد الأعمى لمظاهر الحياة الاوربية ، وعن الخزعبلات التى علقت بمعتقدات عامة الناس ، وأثرت فى طرق حياتهم •

وأتم رابندرانات أربعين عاما من عمره الحافل بالأعمال القيمة فى سنة ١٩٠٠ للميلاد ، وحاز حينئذ رتبة شاعر عظيم من جميع الوجوه والمعاني، وأما اجتهاده وحماسه البالغان فقد ضمنا له عظمة أكثر من هذا • ولكن طاغور فى تلك الفترة نال صيتا بعيدا وراء حدود ولايته أكثر مما ناله من أهله وقومه • وكان القرن العشرون نقطة تحول هامة في الادب البنغالى بظهور مجموعة شعرية معروفة لطاغور « ناى وديا » مشتملة على مائة قصيدة من الشعر القيم ، ومعظمها حول وعى الشاعر عن أسرار الكون ، وخالقه، وقداسة الحياة اليومية ، وواجب كل انسان نحو وطنه وأمته • وكانت هذه المجموعة كتابا قيما قويا لطاغور ، ويعد فى مقدمة المواهب التى منحها لشعبه ، وللانسانية جمعاء •

طاغور يتكلم عن طفولته

قبل أن ندخل الى مرحلة أخرى للأدب البنغالى ينبغى أن نلقى نظرة خاطفة على نشأة الشاعر البنغالى الكبير، والأديب العالمى الشهير، والفيلسوف العصرى العظيم رابندرانات طاغور ، بصفة كونه أس الأدب البنغالى ونقطة تحول كبيرة فى تاريخه ، ومما يزيدنا ابتهاجا وسرورا أن نقف على أيام طفولته ، والمحيط الذى أدى الى تكوين شخصيته العبقرية الفذة ، ودعنا ندرك الماما عن طفولته ، وأيام نشأته بقلمه هو ، فيكون نورا على نور لا يتسرب اليه الشك ، وشائبة الريب ، فيقول طاغور :

« كنت أصغر الأخوة الثلاثة ، نشأنا معا ، وبدأنا التعلم فى وقت واحد ، وأن الأسطر الأولى التى وعيتها منذ أن بدأنا القراءة والكتابة فى الطفولة الكلمات الآتية ، الموسيقية ، السهلة المنال ، ودقيقة المعانى :

« ان المطر ينهمر ، والريح تهز الأوراق ، وقطرات المطر تبللها » وحفظت هذه الكلمات ، وكانت أول المحفوظات التى أذكرها ، وكانت عائلتى تستخدم صرافا يدعى « كيلاس » الذى هو لطيف الخلق ، وحلو الكلام وقوى التعبير ، وغزير المواد التعليمية، وأعجبنى الاستماع اليه دائما بكل شغف وتلهف ، وكانت كلماته ترتسم بذاكرتى بدون أن تنمحى بسرعة ، وهى بمثابة حكم بالغة ، واصبح الباعث الأول لتحبيب المطالعة والقراءة الى قلبى ، ولما تزوج « كيلاس » طرنا فرحا لاننا وجدنا بطلة أيضا الى جانب بطلنا « كيلاس » فى الاسداء الينا الحكم والأخبار الطريفة ، والحكايات العجيبة ، وكانت عروسه صغيرة السن ، جميلة الشكل ، ساحرة المنظر ، تتزين بحلى من الراس الى القدم ، ومن الطرافة جدا أن صورة هذه العروس التى ارتسمت بمخيلتى منذ الطفولة ، ظلت مصدرا استلهم منها كافة الصور عن معظم النساء اللاتى كن يلعبن أدوارا هامة فى منتجاتى الأدبية •

وفى يوم ما فى بداية حياتى المدرسية رأيت أخى الأكبر وابن أختى « ستيا » يركبان عربة الى المدرسة ، والى ذلك اليوم ما كنت أركب العربات فى حياتى ، بل ولم أخرج بعيدا عن البيت ، ولما عاد « ستيا » من المدرسة ممتلئا من النشاط والفرح

البقية على صفحة ٣٤

الطفل المجهول

للشاعر محمد الجبار

(الى كل اب يتمنى طفلا)

في منزل ·· لك ياصغيري ·· يارجاء العمر ·· حجره
ولكم نثرت على سريرك أمنيـــاتي ·· ألف زهـره
من انت ·· اين تكون ·· كيف اراك تحت الشمس مره
لم لا تطل على خريفي ·· كي أرى للفجر ·· فجره

* * *

اني زرعت مشاتل بيديك ·· كي تخضـــل نضره
يا طفل ·· يا من عشت عمر تعاستي ·· أشتاق عمره
يا كم رسمتك في صحاري الثلج ·· واحات ·· وخضره
ومددت كف مدامعي ·· لأذود عن عينيك ·· عبره

* * *

هل انت حلم الكائنات ·· تعيش ·· أم سر المجره ؟
أم انت بذرة زارع أعمى ·· تموت بقلب حفره ؟ ؟
يأتي الربيع مبكرا ·· ويدوسها ·· فتئن حسره !!

* * *

في ليـــلة شتوية قد جئتني وجهـا مطـــلا
أيقظت امك ·· ربما ·· ألفاك تحت الظل ·· ظلا
فلمحت وجهك في الضباب ·· همست للميلاد : أهلا
اسرع ·· وكن عمري الجديد ·· غدا ربيع العمر يبلى
اسرع ·· فان الله للانســـان فوق الارض ·· ملا

* * *

والفجر يولد متعب العينين ·· والانســام كسلى
أنا كم صحوت على صدى الآهات من أعماق ثكلى
يا كم حسبت انينهـا ملأ الوجود الرحب ثـكلا
حتى الدموع لهـا صلاة ·· أعطني ·· يارب طفلا
فاقول : لا ·· لا تحزني ·· ولتبسمي للطفل جذلى
أصغي هنا ·· في قلبك الباكي ·· نشيد منه حلا

طرقات كفيه عـلى بابي ·· فردي الآن : أهـلا
أهـلا بمن حولت شـوك الأرض في كفيـه ·· فلا

* * *

ماذا تسميه ؟ ؟ تسميه المنى الخضراء ·· مهـلا
ولتصنعي ثوبا له يبـدو به في العيـد ·· أحلى
لو جاء طفـلا فهو قيس ·· أو فتـاة ·· فهي ليلى

* * *

يا أيها النغم الذي في الليـل يدفنـه السـكون
يا أيها الحلم الغريق هناك ·· في غسق العيـون
الارض تزخر بالصغـار ·· وبيتنا ·· أبدا ·· حزين
ولن يضيء الشمع ·· ما دامت عيونك لا تبين ؟ ؟
اقبل ·· لكي اعطيك ارث الدمع ·· ارث الضائعين

* * *

حقا ·· حيـاة النـاس آلام تشـد اليائسين
لكنني أشتاق لو تأتي ·· وتفني بعـد حـين
يا غنوتي ·· أيان ألقى وجهك الشادي الحنـون
في منزلي لك لعبة ·· حـيرى ·· تمر بها السنين
وأخاف لو كسرت ·· ولم تقبل الى دار الشجون

* * *

يا رب ·· باسم توسلات الورد فوق الرابيـات
وبحق دودة صخرة تبغي الحياة ·· على الفـلاة
وبحق دمعي – يا صديق الدمع ·· في ليل الشكاة
أن ترحم الانسان – كل الناس – في أعمـاق ذاتي
عيناي أرهقتا ·· وقيثاري ·· تزيف الأغنيـات
وأريد طفلا واحدا ·· فيه بقـايا أمنيـاتي

الى عرافة

للشاعر عبد العليم القباني

اقرئي ما شئت الا خـاطرا ... صنته عن أعين الناس جميعا
خاطر بين ضلوعي ٠٠ كامن ... ود لو فاض بعيني دمـوعا
لا تطلي هكذا ٠٠ في ناظري ... وشك السر المخبأ أن يذيعا
حول عينيـك عني ٠٠ انني ... لم أطق حتى الى نفسي رجوعا
قد عرفت السر ٠٠ ياويحي اذن ... حين أغدو قصة الغيد الملاح
قصة ٠٠ فيها خريف موحش ... ضل ما بين ورود وأقاحي

***

لا تقوليها ٠٠ فحسبي ظلمة ... بين قوم لا يحسون جراحي
لا تقوليها ٠٠ فقد أشقى بها ... عشت أطوي في ثناياها صباحي
غير أن الفتنة الشقراء دارت ... تنقل الأسرار من عين لعين
تفتح الكف بكف صورت ... من سلاف وعبيـر ولجـين
كلما أومت الى قلب ٠٠ هنا ... ذاهلا او والها او بين ٠٠ بين
لا تطيلي الهمس فالكاس التي ... في يدي، جنت ، وجنت مرتين

***

لا تطيل البوح يا حسناء اني ... مهجة تذوي ٠ وقلب يتململ
سري الآن بعينيـــك فلا ... تتركيه بين صحبي يتنقل
لا تقولي ، راهب القوم غوى ... انني في موكب اللوام أعزل
آه من لحظة ضعف خلتها ... في ظلال الحسن من عمري أطول
هل تطيق الصمت ياقلبي لعوب ... تفضح العشاق بالهمس الشجي؟
أعلنت في الساحة الظمأى حديثي ... فاذا بي قصة ملء الندى

***

أنت ياقلبي الذي أوليتهـا ... كل احساسي فهل فزت بشيء ؟
لحظة الحب التي ٠٠ مرت بنا ... أتراها تعدل العمر الشقي ؟
آه ٠٠ يالي من أسى يغمر نفسي ... كلما قلت سأمضي في طريقي
كل آمالي وأحـلامي بقلبي ... كغريق لاذ يأسـا بغريق
ياصديقي آه لو تدري بأمري ... غير أن الآه ندت عن صديقي
كلنا ٠٠ بين يديها ٠٠ لعبة ... لم تكن وحدك في الخيط الوثيق

بقية المنشور على صفحة ٣١

قص على حوادث النهار في المدرسة ، ومجرياتها واحسست حينذاك بشغف كبير ، وشوق بالغ الى الخروج من البيت في سبيل التعلم واللعب، وشاهدني معلمي في البيت أبكي ، فسال عن سبب البكاء ، فقلت انى تواق للذهاب الى المدرسة ، ولا أستطيع المكث في قعر البيت منذ اليوم ، واتذكر بان المعلم اجاب بقوله : أنت تبكى لكى تذهب الى المدرسة ، وستبكى أكثر من هذا فيما بعد ، لئلا تذهب الى المدرسة ، وتحقق تكهن ذلك المعلم الى حد كبير في أيامي المدرسية ، ولا تزال نصيحته عالقة بذهني الى أيام أخيرة من عمرى ، ولما التحقت بالمدرسة الشرقية سئمت من العتاب والعقاب اللذين ينزلهما المدرسون بالتلاميذ الصغار ، مع أني لا أذكر شيئا يستحق الذكر تعلمته فيها ، ويجب على علماء النفس أن يقوموا ببحوث علمية دقيقة حول جدوى مثل هذه المعاملات في التلاميذ وتعليمهم ، والغرس في أذهانهم الاحترام نحو المدرسة والمدرسين ، ولا يساعد هذا النوع من الايلام والتعذيب الا على خلق العقد النفسية طول حياتهم .

نشاته الشعرية

فيقول في معرض اتصالاته عن شغفه بالشعر

« كنت شغوفا بالأدب والشعر منذ السن المبكرة، وأول ما وقع بيدى من هذا القسم ترجمة بنغالية لأساطير « تشانكيا » ، ثم ترجمة « رامايانا » ، وحتى اليوم تنبعث في ذاكرتي صورة ذلك اليوم الذى قرأت فيه «الرامايانا» ، وكانت السماء مظلمة تكسوها سحب كثيفة ، وفي يوم من الايام من طفولتي كنت العب في الشرفة المطلة الى الطريق وفجاة بدا « ستيا » يصيح يا « شاويش » ! يا « شاويش » بصوت عال ، وكانت فكرتي عن البوليس الى ذلك الحين بانه اذا وقع متهم في أيديهم يعذبونه تعذيبا شديدا بكل قسوة وبلا رحمة ، ولأجل هذه الفكرة الراسبة في ذهني حينما سمعت نداء «ستيا» أخذني الفزع الشديد ، وهربت الى داخل البيت ، وأغلقت الباب من الداخل ، ولجأت الى أمي مرتعدا من الخوف، ولكن والدتي لم تبال ببكائي كما أنها ظنت بأنه من البكاء العادي الذى يصدر حينا فآخر من الاطفال الصغار في سنى ، وفي الوقت ذاته وقعت عيناي على الكتاب الذى كانت تقرؤه جدتي ، واخذت أحدق اليه فاذا هو « الرامايانا » الشهير ، فقرأت بعض الأسطر منه ، وتوقف بكائي ، ولم تمض الا ساعات قليلة لقد انتهيت من مطالعة « الرامايانا » » .

وتعلمت أغنية شعبية شائعة عن شجرة الموز في تلك الايام ما معناها :

« أيتها الشجرة العجوز للموز ، تقفين في مكانك جامدة ، طول الليل والنهار ، وهل تذكرين أيتها الشجرة ، ذلك الطفل المرح ، الذى كان يلعب دائما بظلك ، وتحت أوراقك الطويلة ، ولكن لا أنسى !!» .

ومن البديع جدا أنه كان هناك غدير صغير من الماء الذى كانت تتروى به هذه الشجرة ، وتنعكس فيه أغصانها ، وعناقيدها الخضراء . وما كنا احرارا لنخرج الى الخارج من المنزل كما نشاء ، ولذا تعودنا على اطلاق عنان أعيننا وأخيلتنا من وراء الحواجز والقضبان ، وكانت عيني دائما تقع على هذا الفناء الفسيح الملء بسحر الطبيعة ، وضوء القمر ، ورقرقة الغدير الجارى ، وتغاريد الطيور ، وهمهمة الحيوانات في أوقات الليل ، وكل هذا وذاك من المناظر الخلابة، والصور البديعة ، قد ارتسمت في مخيلتي ، ودفعتني الى التفكير العميق في أسرار الكون ، وجمال الطبيعة وبدائعها وساعدت هذه الصور على تكريس حياتي لأجل الكشف عن بعض أسرارها وخباياها ، وخفاياها .

ويكتب طاغور عن تلك الذكريات في احدى رسالاته :

« كان الطير الأليف محبوسا في القفص ، وكان الطير الحر طليقا في الغابات ، ومرة التقى الطيران — الأليف والحر — فصاح الطير الحر قائلا : أيها الحبيب : دعنا نطير الى الغابة ، فهمس الطير المحبوس في القفص اليه ، تعال معى ، نعيش معا في القفص ، فأجاب الطير الحر الطليق يا حبيبي : كيف يتسنى لنا أن نرفرف جناحينا بحرية كاملة اذا كنا سجينين في القفص فبكى الطير المحبوس : وقال يا أسفاه ! لست أدرى أين أجلس مستريحا في السماء !» .

محيى الدين الألوائي

الشعر بين الجمود والتطور

تأليف العوضى الوكيل

بقلم محمد طاهر الجبلاوى

هذا الكتاب الصغير يجمع بين دفتيه أغراضا كبيرة فى تاريخنا الادبى الحديث فقد تناول الشعر منذ نهضته الاولى على الستة شعراء الديباجة وفى مقدمتهم البارودى وشوقى وحافظ وصبرى وتحدث بأفاضة عن حركة التجديد التى قام بها العقاد والمازنى وشكرى واسماهم شعراء الديوان. وأرى فى هذه التسمية بعض التجوز فيما يتعلق بشكرى ، فشكرى لم يشترك فى كتاب الديوان ، بل كان هدفا له ، وقد تناوله المازنى بنقد مرير فى هذا الكتاب تحت عنوان صنم الالاعيب ٠ فاذا أشركناه مع شعراء الديوان فلانه يتمذهب بمذهبهم ويتفق معهم فى وجهة النظر التى دافعوا عنها قبل صدور هذا الكتاب وبعده وهو ولاشك شريك فى الحركة التجديدية وان لم يشارك فى كتاب الديوان

وقد هاجم شكرى المازنى ، واتهمه بالسرقة فى بعض قصائده ، ورد عليه المازنى يعزو هذه السرقة الى توارد الخواطر وكثرة المحفوظ . وهاجم المازنى شكرى فاتهمه بالجنون وأورد الشواهد والامثلة من شعره ليثبت صحة دعواه ، وكان شكرى مدرسا حريصا على سمعته بين تلاميذه فانقطع عن الكتابة واعتزل البيئة الادبية وتخلف عن الركب وظل عشرين سنة يقول الشعر ولاينشره وزار المازنى الفيوم سنة ١٩٣٠ وشكرى ناظر لمدرستها الثانوية وطلب لقاءه فلم يقبل ، فأرسل المازنى اليه قصيدة بليغة يذكره بسالف الود ، وأجابه شكرى بقصيدة يقول فيها :

رحيق الحياة الود لو دام صفوه
وكالراح أحلاه المعتق ذو العهد

واحسنه ماكان من عصرة الصبا
ولم يحل بعد الشيب مستحدث الود

رأيت الصبا ودا وود الصبا صبا
كيانهما الممزوج كالجوهر الفرد

وقد اعتزل الشاعران حركة التجديد وسار بها العقاد الى شوطها الاخير وكرس حياته للدفاع عنها .

وقد تناول المؤلف فى كتابه الحديث عن الشعر ومقوماته العروضية ليخرج من كل هذا الى الحديث عن الشعر الجديد .

وهو يرى أن اصحاب الشعر الجديد لم يصححوا مفهوم الشعر كما فعل سابقوهم بل انهم قد ابتدعوا مفهوما جديدا له يقوم على تغيير كثير او قليل فى الشكل والمضمون .

وارى ان الشعر العربى فى تاريخه المديد لم يقف

جامدا كما قد يظن ، بل كان يتجدد ويتطور ويمدنا بكل جميل وجليل على مر السنين واذا تبينا عصور الادب العربى على اختلافها وجدناها لم تخل قط من شعراء مجددين .

لقد كان امرؤ القيس مجددا فى معانيه حين وصف جواده بقوله :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنه
كما زلت الصفواء بالمتنزل

الى آخر الابيات

وكان مجددا حين وصف الليل بقوله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه
واردف اعجازا وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجلى
بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيالك من ليل كأن نجومه
بأمراس كتان الى صم جندل

وكان مجددا وهو يتسلل الى محبوبته ويقول :

سموت اليها بعد مانام اهلها
سمو حباب الماء حالا على حال

وكان عمر بن ابى ربيعة مجددا حين ادخل القصة بكل معانيها فى رائيته التى يقول فيها بعد ان رقد السمار واطفئت الانوار .

وغاب قمير كنت أرجو غيابه
وروح رعيان ونوم سمر

واطفىء عنى الصوت اقبلت مشية
الحباب وشخصى خيفة القوم آزور

وحييت اذ فاجأتها فتولهت
وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتنى
وأنت امرؤ ميسور امرك أعسر

فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى
اليك وما عين من الناس تنظر

ويقول فى وصف نفسه :

رات رجلا اما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشى فيخصر

اخا سفر جواب أرض تقاذفت
به فلوات فهو اشعث أغبر

قليل على ظهر المطية ظله
سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

الى آخر هذه القصة الطريفة :

وكان ابو نواس مجددا ودعا الى التجديد فىشعره فقال :

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وقال :

واذا وصفت الشىء متبعا
لم تخل من جهل ومن عقم

وكان البحترى مجددا فى وصف البركة وفى وصف ديوان كسرى وفى كثير غير ذلك . وكذلك ابو تمام فى وصف الفتوح الاسلامية .

وكان شعراء الاندلس مجددين فى الشكل والمضمون وقد غذوا الشعر بصور بديعةمن الموشحات والمسمطات .

وهكذا نرى أن الشعر العربى لم يخل من الجديد والمجددين .

وقد ظهرت حركة التجديد ، واتخذت لها صورة واضحة المعالم عند العقاد والمازنى وشكرى . فانكروا

على شعراء النماذج جريهم وراء المتقدمين ومحاكاتهم للقديم في اللفظ والصياغة والمعنى في غالب الاحيان ٠

وقد قاد هذه الحركة العقاد وحمل لواءها كما قدمنا حتى وصل بها الى الغاية المرجوة ٠

ثم ظهرت في الايام الاخيرة حركة الشعر الجديد :

وفي كل حركة بركة كما يقولون ، الا أن هذه الحركة وقفت عند حد محدود ٠ وكان اصحابها ظنوا أن الشعر الجديد ولد كاملا ٠ فلم يدخلوا عليه اى تغيير أو تبديل فوقف جامدا ولم يصل الى تمامه وتسلل اليه بعض من لا يحسنون القول ٠

وكان على أصحاب هذه الحركة الخطيرة التي ترمي الى تغيير مفهوم الشعر العربي الذي عاصر الطبيعة العربية منذ خلقت ، أن يفكروا فيما هم مقدمون عليه ٠

وكان عليهم أن ينظروا بعين الاعتبار والتقدير الى ما يوجه اليهم من النقد ، وقد تعرض لنقدهم رجال من أئمة الأدب في العالم العربي ٠

كان عليهم أن يدخلوا على شعرهم الجديد بعض التجديد ويوائموا بين مقاصدهم ومقاصد النقاد ٠

يقولون ان الشعر الجديد يسير على نظام التفعيلة الواحدة ٠ ولم لا ؟! فكثير من بحور الشعر العربى يسير على التفعيلة الواحدة ٠ ولكن هناك فرق بين التفعيلة حين توضع في موضعها وحدودها ، وبين التفعيلة حين تسرح وتشطح وتنساب بغير حدود ٠

ان الموسيقى شيء أساسى في الشعر سواء أكان قديما او حديثا واذا خلا الشعر القديم من الموسيقى فانى لاأعده شعرا٠ ولو كان ملتزما القافية والعروض وكذلك الشعر الجديد ، وقد يخيل الى أن الشعر الجديد شعر التفعيلة الواحدة ليس جديدا على الشعر العربى٠ هو مسودة الشعر حين ظهر لأول مرة في عصور ساحقة قبل ماسجل من تاريخ الادب المعروف لدينا٠

ويخيل الى أن أول رجل قال الشعر العربى قاله على نحو ما يقوله اليوم شعراء الشعر الجديد، ثم أخذ الشعر يتطور ويترقى حتى وصل الى ما وصل اليه الشعر الذى تراه في دواوين شعراء العرب ٠

ومن يدرى فلعل الشعر الجديد يتطور ويترقى على هذا النحو وتتم الدورة فيعود شعرا منتظما في تفاعيله وقوافيه ٠

ولا أقول على أوزان الخليل فهى ليست ملزمة لشاعر من الشعراء، بل على نحو يرضى الفن الجميل ٠

وليكن الشعر الجديد بذرة في هذا الحقل الذى نرجو أن يأتينا بأينع الثمرات أما الكتاب الذي نحن بصدده فقد ناقش موضوع الشعر الجديد من وجهة نظر المؤلف تارة ومن وجهة نظر اصحاب الجديد تارة اخرى وكان مؤلفه حسنا في تعبيره منصفا لأصحاب الجديد والقديم ٠

وليعلم اصحاب الجديد أن الرموز والتشبيهات ليست كل شيء في الشعر فهناك اللفظ الفصيح والعبارة البليغة مع الموسيقى المعبرة ، فاذا خلا الشعر من كل هذا لم يكن شعرا بالمعنى الصحيح ٠

بل قد يخلو الشعر من الرموز والتشبيهات ويكون شعرا عذبا بليغا ، واضرب لذلك مثلا قول ابى نواس :

حامل الهوى تعب   يستخفه الطرب
ان بكى فحق له   ليس ما به لعب

وقوله من نفس القصيدة :

تعجبين من سقمى   صحتى هى العجب
تلعبين لاهية   والمحب ينتحب

فهذه ابيات خلت من الرمز والتشبيه والخيال ولكنها تسمو الى المكانة الاولى للشعر باللفظ الفصيح والعبارة البليغة والموسيقى المرقصة ٠

ولعل اخواننا دعاة الشعر الجديد يتدبرون هذه الامور وهم فى طريقهم الى اشاعة الشعر الجديد ٠

القرآن في عالم الشعوذة

بقلم محمد عبد الله السمان

ان الانسان ليشعر بشيء من المرارة والالم ، وهو لما يزل يرى الى اليوم كتاب الله ذا مكان ملحوظ فى عالم الأحجبة والتعاويذ ، ومصدرا موثوقا به لجلب الرزق والخير والبركة ، وعلاجا مضمونا لشتى العلل والامراض .

هكذا تحولت اهداف القرآن من هداية وتوجيه وتربية ، وصقل للعقل والفكر والذهن ، واتجاه بالنفس الى المثل الرفيعة والقيم العليا واتجاه بالحياة الى مسالك العيش الطيب والرفاهية المهذبة واتجاه بالانسانية الى غايات الكرامة والعزة ، وملتقيات الحرية فى اعذب الوانها .

تحولت هذه الاهداف القرآنية الى اهداف دنيا يحتضنها الدجل ، وتباركها الشعوذة ، وتؤيدها السخرية من عقول السذج والبسطاء .

قال لى مضيفى وهو رجل اوشك على الاربعين من عمره ، ترك الجامعة منذ خمسة عشر عاما حين توفى والده واريد له ان يستقر بالريف ، يرعى تركة الوالد من الارض ويكون وصيا على اخوة صغار ، ولتقر به بعد ذلك عينا أم افعم صدرها الحزن ، وهد عافيتها الأسى قال لى : ان حظك من السماء فضيفنا هنا منذ ايام ثلاثة شيخ مبارك تلتمس منه البركة ، ويرجى على يديه الخير، انه من احدى القرى المجاورة باغ ذكره الآفاق ،ويفد اليه القاصى والدانى برجوانه فيما الم بهما ، ويستدعيه الغنى المقتدر يستعين به ويستغيث مما لحق به من شدة ، وقد استدعيناه منذ اكثر من شهرين وهو يعتذر لضيق الوقت وكثرة الاعمال ، ولم يزرنا الا منذ ايام بعد ان الححنا فى الرجاء وتوسلنا اليه بكل عزيز لديه ، فوالدتى تعانى منذ ثلاثة اشهر من مرض مستعص حار فيه الاطباء ، واستعصى على كل علاج ، وقد ترددت عشرات المرات فى ان استعين بغير طبيب متخصص ، لولا ان طب الاطباء عجز عن علاجها ، ولولا ان اهل القرية اقسموا لى الايمان الغلاظ ان الشيخ «درويش» - رجل عمت بركته هذه القرى كلها وما حولها ،وانه قد ابرا فلانا وفلانة بعد ان تولى علاجهما دون جدوى عشرات من الاطباء ، وانه رد الحياة الى زيد وعبيد بعد ان كادا يستسلمان الى الموت ويودعان الحياة ، وامام هذه الايمان الغلاظ ، والرغبة الملحة فى ان تشفى والدتى باى ثمن مهما بلغ استدعينا الشيخ ، وقد هلت فعلا بوادر الخير على يديه وارجو ان يتم الشفاء قبل نهاية الاسبوع كما وعدنا .

ولم تمض لحظات حتى اهلت طلعة الشيخ علينا من غرفته ، بعد ان صلى الفرض واسرف فى السنة واكمل عشرين دورة من دورات سبحته . انه شيخ فى الخمسين مهيب الطلعة ، انيق الملبس واللحية والعمامة ، تكسو وجهه المشرق مسحة من الحياء المتكلف ، وبعد ان القى السلام علينا واخذ مكانه راح يحرك حبات سبحته بأنامله دون ان يعبأ بنا .

والحق انى كنت حريصا الا ادخل فى مناقشة ، فقد وضع مضيفى كل امله فى الشيخ ولا داعى لزلزلة الثقة فى هذا الامل على الاقل فى اليومين اللذين قدر لى ان اقضيهما ضيفا على صديق .

ولكن الشيخ بعد ان استغرق زهاء نصف ساعة بين تحريك لسبحته وعبث بلحيته ، كانما احس ان فى نفسي شيئا اريد الافضاء به ، اعتدل فى جلسته، واراح سبحته الى جواره ، وبدا الكلام . قال :

اسمع يا استاذ : انا لست جاهلا قبل كل شيء ، فقد جاورت بالأزهر بضع سنوات فى شبابى بعد ان حفظت القرآن عن ظهر قلب ، وانا كذلك لست دجالا ولا مشعوذا ، لأنى آخذ من القرآن ما شئت لما شئت ولمن شئت،بآيات القرآن الكريم استعين،لأبرىء المريض من مرضه ، ولأعيد الزوجة الناشزة الى زوجها ، والزوج النافر من زوجته ، ولأرد الغائب من غيبته ، واظنك على علم بما ورد فى الصحاح من كتب السنة

من قصة أصحاب رسول الله الذين كانوا فى سفر ومروا بحى لدغ العقرب سيده ، فرقاه أحدهم بسورة الفاتحة حتى برىء ودفع الى أصحاب الرسول شاة نعفف البعض منها لأنها أجر على كتاب الله ، ولما أبلغوا الرسول القصة أقرهم على فعلهم ، بل طلب أن يضرب له بسهم فى الشاه ، وقال لهم : « أن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله تعالى »

وفوق هذا فالقرآن صريح بقوله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء .. »

قال الشيخ :

أما قصة أصحاب الرسول ، فقد دفع الى الرقية بالقرآن الضرورة القصوى ، ولم يكن فى الامكان أن يفعل بالملدوغ غير هذا ، وهى نادرة لم تتكرر ، ولم تصلح قاعدة شرعية فيما بعد ، وأما قوله تعالى : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ... » فليس المقصود منه شفاء الامراض البدنية كما توهمت ، وانما المقصود شفاء الصدور ، وآية يونس تشير الى ذلك : « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور . » قال الشيخ رضا رحمه الله فى المنار : « أى شفاء جميع ما فى القلوب من أدواء الشرك والكفر والنفاق وسائر الامراض النفسية التى يشعر صاحبها ذو الضمير الحى بضيق الصدر ، من شك فى الايمان ، ومخالفة للوجدان .. » وفى ذلك يقول الحسن البصرى : « ان الله تعالى جعل القرآن شفاء لما فى الصدور ، ولم يجعله شفاء لامراضكم ، ثم أين نحن من حديث الرسول " **تداووا عباد الله فان الله لم يخلق داء الا وضع له دواء ؟**

كان الشيخ يكتفى بهز رأسه والعبث فى لحيته ثم استأذن حيث دنت ساعة العلاج ، وسألنا الله أن يحقق أمل الأسرة الملتاعة على يديه .

ويظهر أن الشيخ حين ابتدأ العلاج لجأ الى عملية البخور وهو يتلو القرآن ساعات متواليات ، فكان طبيعيا أن تصاب المريضة بشيء من الدوار وتهدأ أناتها وتنام قليلا ، وهذا ما أوهم الاسرة أنها فى طريقها الى الشفاء ، ولكن « سماحة » الشيخ كانت له طرق أخرى فى العلاج ، ففى كل ست ساعات ، يكتب بعض الآيات القرآنية بالمداد ، ثم يذيبها بماء الورد تارة ، وسائل الزعفران تارة أخرى لتشرب المريضة ولم تدهش حين قرر أحد الاطباء فى اليوم التالى ، وهو من أبناء القرية جاء فى زيارة قصيرة — قرر أن المريضة مصابة بمغص قلوى ولابد من نقلها فورا الى أقرب المستشفيات ، ثم عرضها بعد ذلك على طبيب نفسانى بالقاهرة ليتم شفاؤها .

وبعد — فهذا الشيخ وأمثاله من جهابذة الدجل والشعوذة لهم بعض العذر حين يباشرون نفوذا فى عالم الطب ينافسون به مستشفيات الدولة وأطباءها ، وليس المفروض فى مثل هذه الاحوال أن نكتفى بمطاردة المشعوذين وتضييق الخناق عليهم ، بل لابد — الى جانب ذلك — من حملة على مصدر هذه الشعوذة ، وليس مصدرها وحسب — الكتب المشهورة أمثال « **شمس المعارف الكبرى** » **والديربى و أبو معشر** ، بل ان هناك كتبا دينية لها شهرتها تبارك هذه الشعوذة ، ولاضرب مثلا واحدا بكتاب « **التذكار فى أفضل الاذكار** » **للقرطبى المفسر المشهور ، والمتوفى عام ٦٦٨ هـ** ، ففى هذا الكتاب العجب العجاب الذى اعتمد على أحاديث نسبت الى الرسول ويستشف منها كيف تحول القرآن الى صناعة الدجل والشعوذة :

قوله تعالى : « سلام على نوح فى العالمين » للأمان من الكلب .

وقوله تعالى : « لكل نبأ مستقر .. » للشفاء من وجع الضرس

وقوله تعالى : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » للأمان من الكلب

ومما يبعث على الألم حقا : ان القرطبى هذا أشار فى نفس كتابه الى أن هناك أحاديث كاذبة وضعها الوضاعون واختلقها المختلقون فى فضل سور القرآن ، وقد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا ، ومنهم أبو عصمة الذى قال : انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن اسحق فوضعت هذه الاحاديث حسبه . ومنهم من قال : « **رأيت الناس زهدوا فى القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه** » فقيل له : فان النبى قال : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » **فأجاب : أنا ما كذبت عليه ، انما كذبت له . !!**

القرطبى هذا هو نفسه الذى حشا كتابه بأحاديث فى فضائل القرآن ، تجعل له مكانا ملحوظا فى عالم الدجل والشعوذة .

صوت العروبة

للشاعر بشير الفيل

صوت العروبة بين « النيل والهرم   دعا .. فايقظ من بالشرق من أمم

دعا .. فارعفت الدنيا مسامعها   وعانقته بشوق ساحة الحرم

دعا .. ساطرح ما لاقيت محتسبا   عند العروبة اخلاصى وحر دمى

ودعوة الحق عند الله تنصرها   بين الملايين ألف يد وألف فم

سبحان ربى من أنباك حين سمت   بك العروبة فوق الشك والتهم

أن المصير الذى ما زال يربطنا   ما زال يقظان لم يغفل ولم ينم

وأن قومى مهما غال وحدتهم   ليل غبى وعمر حالك الظلم

فان فى دمهم عزم يجمعهم   عند الشدائد صفا ثابت القدم ؟ ؟

كم راودتنى بليل الشك أمنية   ضلت ورائى فى دوامة السأم

وكم وددت لو ان الله يمنحنى   فى ليلة القدر بعض الخير والنعم

لقلت : يا رب ـ ان تقبل ـ فأمنيتى   لأمتى . . وحدة تحوى بنى رحمى

لكن امنيتى باتت محققة   فى ليلة سبقت ظنى .. فلم أنم

وهل أنام وأفراحى تعانقنى   ووحدتى تسكر الأرجاء بالنغم ؟

لا لن أنام سأحيا ساهرا أبدا   حتى ترفرف فوق « القدس » ياعلمى

يا ماردا أيقظ الدنيا وفى يده   غصن السلام، وفى الاخرى لظى النقم

أأنت جئت الى الانسان تنقذه   وقد تخبط بين الذل والعدم ؟

لقد صحا اللاجىء العانى وفى دمه   أحقاد عمر من الأنات والألم

صحا على صوتك الداعى ليعلنها   لا لن أعيش صريع الليل والسأم

لا لن أظل غريب الدار .. محترقا   عبر الخيام بنار الغاصب النهم

لا لن أموت .. فهذا الصوت يبعثنى   لقد تمرد قيدى صارخا بدمى

ثر يا شريد فما عادت يد أبدا   تغتال ما ورثت يمناك من قدم

يا ويح «صهيون» ان ثار الشريد غدا   واجتاح ما جمعت دعواه من رمم

لا لن تخلف نيران الشريد له   فوق الثرى صنما .. او عابد الصنم

اليوم عدنا وعاد الصفو يجمعنا   من شاطىء العرب، حتى ساحل العجم

لقد صحونا على نور يظللنا   ويفرش الدرب بالآيات والحكم

فهل نفرق ؟ هل نحيا على احن   والله فضلنا عن سائر الامم ؟

لا لن نفرق . . فالقرآن ما لبثت   آياته بيننا تسمو على الكلم

لا لن نفرق . . فالايمان يربطنا   والدين يسلكنا فى أنبل القيم

شريعة الله فينا وحدت مهجا   وجمعتنا على حب ، على كرم

ووحدتنا .. وهذا الغرب ملتحف   ثرى الضياع وثاو فى يد الظلم

واليوم نرجع للماضى ، وهاهى ذى   مطامع الغرب أشلاء على قدمى

ما دام فى عودنا .. بعث لأمتنا   سيعتلى الشرق حتما قمة القمم

الله أكبر . . ما زلنا نجع لها   قومية ترتوى من صادق الهمم

على المآذن قلناها لمن هدموا   مآذنا . . ان عين الله لم تنم



كمال الدين الفارسى ونظرية الألوان

بقلم احمد سعيد الدمرداش



كمال الدين الفارسى

تمهيد : كان أبو العلاء المعرى شاعرا ضريرا ، وكذلك كان بشار بن برد ، ولكنهما كانا يحسان بالألوان ويتفاعلان معها ، ذلك لأن العقل هو الذى يدركها ويقرر عنوانها وظلالها ، ووظيفة العين تشبه وظيفة آلة التصوير ، جهاز يستقبل الموجات الضوئية مختلفة الوانها ، ثم ينقلها الى العقل فيفرزها فى زمان غير محسوس .

ولنستمع الآن الى شعر ابى العلاء ذى الألوان والظلال حيث يقول :

ليلتى هذه عروس من الزنج
عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوى الثريا
فهما للوداع معتنقان
وسهيل كوجنة الحب فى اللون
وقلب المحب فى الخفقان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسرع
فى اللمح مقلة الغضبان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجر
فغطى المشيب بالزعفران

السنا نستطيع الحكم على تذوق ابى العلاء للألوان من بين ثنايا هذه الابيات ؟

قد يفنى الجهاز البصرى او ينعدم ، غير ان الجهاز السمائى للمخ يظل موجودا ، ولكن فى حالة اشبه ما تكون بالخمول او الهمود ، اما عمى الالوان فهو ناتج من مرض فى الجهاز البصرى ، وليس فى خلايا المخ .

وهناك من يصابون بالعمى الكلى ، غير ان عقولهم مازالت تحلم بالالوان وتحس بها ، وامامنا مثال حى : الكاتبة الامريكية الشهيرة « هيلين كيلر » فهى عمياء خرساء ، وتقول فى حديث لها :

« ان الألوان التى تهز العالم الذى اعيش فيه هى زرقة السماء ، وخضرة الحقول الناضرة التى احس بها كما احس بقية الألوان ، والشمس لاتضىء بصرى وكذلك وميض البرق ، والاشجار لاترى خضرتها الزاهرة فى الربيع ، ولكن كل هذه الانفعالات اللونية مازالت تعيش معى ، ولولاها لأصبح العالم الذى اعيش فيه ، قاحلا يحيط به الظلام من جميع الجهات » .

وللألوان مفاهيم مختلفة فى عرف الحضارات القديمة ، وقد قام علماء العرب بدراسات علمية

وموضوعية للألوان ، كما درسوا البصريات والمناظر ونبغوا فيها ، ونذكر منهم العالم العراقى الكبير ابو البركات هبة الله بن ملكا المتوفى عام ١١٥١ م ، وكذلك العالم العملاق الحسن بن الهيثم ، وقد آثرنا فى هذا المقال شرح الدراسة الموضوعية التى اوضحها العالم كمال الدين ابو الحسن الفارسي المتوفى عام ١٣٢٠ ميلادية فى كتابه « تنقيح المناظر لذوى الابصار والبصائر » .

والفارسي كان تلميذا لأشهر عالم اسلامى فى عصره هو « قطب الدين محمود بن مسعود ابو الثناء الشيرازى » وهذا بدوره كان تلميذا للعالم الكبير نصير الدين الطوسي ، ولقد درس الفارسي اصول علم المناظر عليهما ، ولكنه لم يقتنع باصول هذا العلم كما نقله الطوسي عن اقليدس ، وفى هذا الصدد يقول :

« ولما رايت فى كلام بعض ائمة الحكمة عن غير واحد منهم ، ان الضوء يشرق من النير على خطوط مستقيمة ، فاذا صادفت سطحا كسطح الماء انعكست عنه على زوايا مساويات للزوايا المضادة ، ونفذت فيه على سمت الاشراق عليه ، وانعطفت فيه على سمت الانعكاس عنه ، فحدثت من ذلك اربع زوايا هى زوايا الاستقامة والانعكاس ، والنفوذ والانعطاف ، وكلها متساوية ، فتحيرت فى هذه الاحكام من اين ماخذها ، وثبت على هذه المقدمة ، وتفرغت اليها مدة ، فتفرعت عنها احكام فى الرؤية بالانعطاف جلها تخالف المحسوس ، فزادت حيرتى ، فراجعت الحضرة (يقصد حضرة قطب الدين الشيرازى استاذه) وحكيت القصة » .

فاشار اليه الشيرازى بدراسة كتب المناظر لابن الهيثم ، فراعه مافيها من بحوث وقال بلفظه :

« فوجدت برد اليقين مما فيه ، مع مالم احصه من الفوائد واللطائف والغرائب ، مستندة الى تجارب صحيحة ، واعتبارات محررة بالات هندسية ورصدية وقياسات مؤلفة من مقدمات صادقة » .

كتاب تنقيح المناظر :

يذكر الفارسي فى الفصل الثالث من هذا الكتاب كيفية تولد الألوان مستندا اولا الى اقوال استاذه الشيرازى فى شرح الكليات فيقول « وذلك على ما افاده مكمل علوم الاولين حرس الله كما له فى شرحه لكتاب الكليات من القانون ، يسر الله اتمامه مقرونا بعافية شاملة ، فان فيه كل العلم ، ان كان شرحا لنصف العلم نقلته بشريف لفظه تيمنا وتبركا .

قال لازال مفيدا ان من الاجسام ما هو شفاف عديم اللون ما دام شفافا ، ومنها ما هو كثيف ، من شأنه الا يوجد خاليا عن لون ما ، والكثافة تطلق تارة بازاء التخلخل ، والأخرى بازاء الشفيف ، والشفيف والكثافة ايضا يشتدان ويضعفان ، فان الهواء اشف من الماء ، والماء اشف من الارض ، وايضا من الاجسام ماله نور ، والنور ايضا يشتد ويضعف ، وذوات النور منها سماوية كالنيرين والكواكب ، ومنها عنصرية كالنار ، ومنها مركبة كاللآلىء والجواهر والذهب وبعض النباتات وأعين الحيوانات ، واجنحة بعضها وبعض اخلاطها الصفراوية والدموية » .

ثم يستطرد قائلا :

« والألوان كلها تتولد من هذه الكيفيات ، اعنى من الشفيف والكثافة والنور والظلمة ، والمتوسط فى الشفيف كالحجر والزجاج اذا تصاغر اجزاؤها ، وتعاكست الانوار من بعض سطوحها الى بعض وانعطفت فى مخالف الشفيف حدث البياض » .

ورأى الفارسي فى التقازيح اذكره بلفظه قال :
« التقازيح الوان مختلفة متقاربة فيها بين الزرقة والخضرة والصفرة والحمرة والدكنة ، تحدث من صورة نير قوى واردة الى البصر بالانعكاس والانعطاف او بما يتركب منهما » .

ومن هذا يتضح ان الاشعاع اللونى ناتج من الانعكاس والانعطاف اى الانكسار فى لغتنا الحاضرة وان التقازيح الملونة يمكن تأليفها ثانيا فيتكون الشعاع الابيض كما يحدث فى الزجاج اذا تصاغرت اجزاؤه ، وفى هذا بعيد القول .

« البياض المشاهد فى السحاب انما هو لأن الضوء يرد الى اجزائه الرشية القريبة من النير فينعطف فيها ، وينعكس عنها ، ويصدر ثانيا ، ثم يصادف كرة اخرى ، فينعكس وينعطف ويصدر ثم الى ثالثة ورابعة ، ويكثر هذا الورد والصدر فيرى البصر من كل جزء منها اضواء كثيرة منعطفة ، ومنعكسة وثابتة وذلك هو البياض ، فان قوى بلغ حد الاشراق وقهر البصر كما فى الثلج ، وانما ذلك لغلبة المنعطفات فان المنعكسة وحدها عن الاجزاء الرشية تضعف لتبددها

وأما المنعطفة وحدها او مع الانعكاس فكثيرا ماتوجب اتوة كما فى اعالى مخروط الاحراق ، وحواشى المنعطفات بالمنعكس ، وانما لا يوجد هذا البياض فى جميع اجزاء الرش عند تكون الهالة او القوس » .

ثم يستطرد :

« واما البياض المشاهد فى اجزاء الجمد فلأنه يشتمل على اجزاء هوائية مستديرة فيحدث فى الجمد تقعيرات مستديرة ، غالبا سطوحها صقلية ، فهى مرايا مقعرة باعتبار الجمد ، محدبة باعتبار الهواء فتنعكس اشعة البصر عن جميع القطعة المقابلة من المحدبة والمقعرة ، اعنى جميع سطح كل كرة الى ضوء الهواء ، فيحدث البياض » .

هذه النظرية التى يشرحها الفارسي فى تحليل اشعة الضوء العادية الى الوان الطيف المعروفة نتيجة الانعكاس والانكسار فى ذرات البخار العالقة فى الهواء ، باعتبار سطوحها محدبة ، ثم اعادة تاليفها الى اللون الابيض الاصلى بانكسارها ثانية فى ذرات اخرى باعتبار سطوحها مقعرة ، هى بعينها النظرية التى طبقها اسحق نيوتن العالم الانجليزى فى القرن السابع عشر ، بتحليل اشعة الشمس باستخدام منشور زجاجى ، ثم اعادة تاليف الوان الطيف الخارجة من المنشور على هيئة حزم اشعة ملونة باستخدام منشور آخر زجاجى فى وضع مقلوب .

اما فى موضوع الحبود فيقول الفارسي بلفظه :

« كذلك اذا كان المبصر ذا اجزاء صغار مختلفة صغيرة ، وكان لون المبصر الى السواد ما هو ، وقابله النير القوى ، صارت الاجزاء مرايا ، وانعكست صور النير من كل منها الى البصر مثنى او فرادى ، متقاربة او متصلة من اواسط المخروطات (ويعنى مخروطات الاضواء الواصلة الى البصر) او حواشيها فتظهر لذلك تقازيح من الزرقة والخضرة والصفرة والحمرة ، كما يشاهد فى ارياش الطيور ، وبعض اعضاء الحيوانات واجزاء النباتات وغير ذلك ، وربما شاهدت ذلك فى الاهداب وبعض شعرات الحاجبين ، اذا حاذيت قرص الشمس والبصر مستظلا بالحواجب وما فوقها قليلا » .

ويقول الفارسي عن تدرج الألوان ملخصه :

« واما حدوث الالوان بين البياض والسواد فلها طرق كثيرة تتدرج فى سلوكها المتحرك من البياض الى السواد .

منها طريق الى الصفرة يصير اولا بمخالطة الكثافة والنور القليلين :

تبنيا ثم اترجيا ثم زعفرانيا ثم نارنجيا ثم ناريا ، ثم يزداد فيها الميل الى السواد بحسب ازدياد الاجزاء الكثيفة ونقصان النور حتى يصير اسود ، ومنها طريق فى الحمرة يصير اولا ورديا ثم شقائقيا ، ثم ارجوانيا ، ثم بنفسجيا .

ومنها طريق فى الخضرة يكون فستقيا ، ثم كراثيا ، ثم زنجاريا ، ثم جوزيا ، ثم باذنجانيا ، ثم نفطيا .

ومنها طريق فى الزرقة يكون اسمانجونيا ، ثم فيروزجيا ، ثم لاجورديا ، ثم نيليا ، ثم كحليا .

ومنها طريق فى الكدورة يكون اغبر ثم ادكن سمجونيا ، ثم ظلمانيا الى غير ذلك ، ويكون الجميع بحسب اختلاف الاجزاء فى التشفيف والكثافة والنور والظلمة ، وربما يتركب بعض الالوان بالبعض فيحدث لون غيرهما كالأخضر الذى يحصل من تركيب الاصفر بالأسود والازرق ، وكالزنجارى الذى يحصل من تركيب الاخضر بالابيض ، وهذه التركيبات التى لا نهاية لها قد يقع بعضها فى اجزاء صغار من النبات والحيوانات بحيث يتعجب من كثرتها فى جسم صغير من يشاهدها » .

من هذه الدراسة الموضوعية والعلمية يتضح لنا ان الفارسي قد أعطى للألوان ثلاثة ابعاد طبقا للنظرية الحديثة وهى :

(ا) ضعف اللون او حده ، وهو لون الشعاع الضوئى الناتج من الانعكاس والانكسار .

(ب) درجة وضوح اللون او قيمته وهو بحسب مافيه من بياض او سواد .

(حـ) درجة نقاء اللون او تشبعه وهى تدل على درجة الازاحة التى يبعد بها ضعف اللون عن لون رمادى متعادل له نفس القيمة من درجة الوضوح ، وهى ما عبر عنها بدرجات النقاوة ، واعطى لها تلك الاسماء الدقيقة فى الوصف ، وهى التى تمتاز بها العقلية العربية التى استطاعت ان تعطى الكثبان الرملية مئات من الاسماء وكذلك الحال فى اسماء السيوف واسماء الابل والاسود .

النظرية الموجية للضوء والالوان :

يقول الفارسي « من المشاهد انا اذا كنا على بعد من السحاب او الدخان او الضباب أدركناها أكثف واشد بياضا مما اذا كنا بالقرب منها او خضنا فيها ، والسبب فيه ان البصر يدرك حالة القرب صور مبصرات تكون فى خلال السحاب او من ورائه ، فتمتزج الوانها بالوان اجزاء السحاب ، وهى رش متراكم فينكسر بياض السحاب بالوانها ويمتزج بها ، واذا كان على بعد فتستتر الوان المبصرات المذكورة ، فيخلص الى البصر لون اجزاء السحاب وايضا فان التفرق الذى بين اجزاء السحاب يخفى من بعد فيدرك كثيفا متصلا ، وذا بياض قوى ، والحاصل ان القرب يظهر التفرق والصور التى تتخلل بالتفرقات فيمتزج البياض بغيره ، كما يرى من وراء الثوب السخيف النسيج الملون ، فيظهر رقيقا ومشفا ، والبعد يخفى التفرقات ، فيتصل البياض وتظهر الكثافة ، وقد علم من ذلك ان البياض العرضي الوارد من السحاب على ما يقربه اضعف مما يرد على ما يبعد منه :

ومثل ذلك يدرك فى المسموعات ايضا ، فان اصوات الطبول التى تضرب فى ازدحام كداخل سوق تسمع على بعد بعيد من السوق ، اذا كان بعيدا عن الازدحام واللفظ اصدق مما يسمع على بعد اقرب منه اذا كان يلى الازدحام او يكون فيه ايضا » .

اليست هذه الآراء هى نقطة انطلاق للنظرية الموجية للضوء التى نشرها العالم الفرنسي الكبير هويجنز فى القرن السابع عشر الميلادى مع ان آراء الفارسي هذه نشرت قبل عالم ١٣٢٠ اى قبل وفاته !

وان اردنا ان نستزيد من شرح مخطوط تنقيح المناظر للفارسي فالمجال لايسعفنا هنا ، وقد نعود مرة ثانية لدراسة آرائه فى لمية الانعكاس والانعطاف وقوس قزح .

استعدوا للمهرجان القادم

بقلم
عبد الفتاح البارودي

نتائج هامة جدا اسفر عنها المهرجان التليفزيوني ولكن النتيجة الأهم هي أن ننظر اليه كمرحلة فنية وصلنا اليها ، ويجب أن نتجاوزها الى مرحلة انضج واعمق في طريق تطورنا الفني المستمر ... وهذه عملية تواجهنا الآن بمشكلات في غاية الضخامة .

فمثلا ، فوزنا بالترتيب الاول بين تليفزيونات العالم يواجهنا بمشكلة الاحتفاظ بهذا الترتيب .. وهذه البحوث التي قدمت في المهرجان ، والتي تناولت قضايا فنية جوهرية ، تواجهنا بمشكلة المشاركة في معالجة هذه القضايا .. وهذه البرامج التي اشتركت في المهرجان ، والتي مثلت أحدث التيارات والاساليب التليفزيونية تواجهنا بمشكلة بحث هذه التيارات والاساليب بحثا منهجيا ، ومحاولة « بلورة » نظريات فنية للتليفزيون العربي ترسي نشاطنا الفني على أسس علمية ... وهكذا . فماذا سنفعله ؟ هل نكتفي بالابتهاج بالنتائج التي حققناها ؟ لا جدال في أننا نعتز بانتصاراتنا فليس مما يستهان به أن نفوز بأربع جوائز في هذا المهرجان العالمي ... ولا جدال في أن هذا المهرجان نجح في تحقيق أهدافه ، فقد تحقق فيه نمو الوعي التليفزيوني ، وزيادة التعاون الفني بين دول العالم ، وتبادل الخبرات مع دول سبقتنا في هذا المضمار ، وتبادل وجهات النظر مع خبراء راسخي القدم في هذا المجال الفني ... ايضا لا جدال في أن التليفزيون العربي عرف في هذا المهرجان احتياجات كثيرة ، وعلى ضوء ذلك اقترح مقترحات كثيرة لم يكن من الممكن أن يعرفها لولا ان المهرجان أتاح فرصة الاحتكاك بثقافات عالمية . ومن أجل ذلك قرر مناقشة البحوث الفنية وطبعها باللغات المختلفة ، وانشاء مجلة دولية للتليفزيون تصدر شهريا ، كما قرر أن يرسل الى الخارج أفلاما تمثل حياتنا ، وأن يتلقى من الخارج أفلاما تمثل الاتجاهات الفنية في العالم .. الخ .. وهذه كلها نتائج محددة وصلنا اليها ، وستفيدنا جدا ، فضلا عن النتائج المعنوية التي اكسبتنا احترام الفنانين في العالم كله ... ولكن ماذا سنفعله بعد المهرجان ؟!

نستطيع أن نفعل الكثير اذا نظرنا الى المهرجان وابحاثه ونتائجه وبرامجه نظرة واقعية صريحة .. فاولا : هل فوزنا بالجائزة الاولى في التمثيليات معناه اننا بلغنا الذروة في الفن التمثيل التليفزيوني ؟! ابدا .. صحيح أن تمثيليتنا الفائزة « **المعطف** » بلغت المستوى العالمي . ولكن معظم التمثيليات التي تراها على الشاشة الالكترونية ليست ـ بالبداهة ـ في نفس المستوى ، وبعضها ضعيف المستوى لدرجة ملحوظة .

وكذلك الفيلم التسجيلي الفائز بالجائزة الثانية « **اللحظة الخالدة** » لا يمكن أن يقال ان مستواه هو نفس مستوى انتاجنا من هذا اللون من الفن التليفزيوني ، ولو أنه ـ انصافا للحقيقة ـ يجب أن نذكر ان افلامنا التسجيلية بصفة عامة ذات مستوى معقول .

وايضا الفيلم الفائز بالمرتبة الثالثة في المنوعات « **الطوق** » لا يعبر عن مستوى منوعاتنا التليفزيونية بل بالعكس ، فان معظم برامج المنوعات التي عرضت على الشاشة هي اغان فردية لا صلة لها بالتكنيك التليفزيوني .

ثم اننا اذا تعمقنا النظر الى برامجنا الفائزة وجدنا أن هناك عوامل كثيرة أدت الى هذا الفوز ، وهذه العوامل لا نضمن تكرارها بسهولة ٠٠٠ فتمثيلية المعطف تدور حول فكرة **لنجيب محفوظ** ذات مغزى انسانى عميق ، وأحداثها ساعدت السيناريست رمضان خليفة على اعداد سيناريو مشبع بالمواقف الانسانية ، وساعدت المخرج حسين كمال على استخدام لغة الكاميرا استخداما فنيا ، والهمته أن ينفذ عمليات الاخراج بالصورة والحركة فقط ، دون أن يستخدم الحوار ، ودون أن يستعين بنجوم ، وهذه كلها عوامل قد لا تتكرر ٠

أيضا فيلم اللحظة الخالدة يصور حدثا تاريخيا لن يتكرر بالتأكيد ، وهو حدث تحويل مجرى النيل ، وبديهى أن روعة هذا الحدث لها دخل كبير فى الحافز الفنى والاداء الفنى ٠

ومن جهة أخرى ، نلاحظ أن فى الاعمال الفائزة ملاحظات كثيرة تحتاج الى دراسة دقيقة لتستكمل النقائص ٠٠ حتى التمثيلية الفائزة بالجائزة الاولى يمكن أن نلاحظ فيها أن بعض المشاهد لم تستكمل التعبير ، مثل مشهد الغلام وهو ينظر الى الجندى الذى ساومه على أن يعطيه المعطف ويأخذ منه « السجاير » ففى هذا المشهد رأينا الغلام «يتفرج» على الجندى دون أن تظهر لهفته على المعطف ٠٠ هذا مثل واحد ، وهناك أمثلة كثيرة مماثلة ٠

أيضا فى فيلم اللحظة الخالدة لاحظت أن الفيلم يتألف من لقطات موضوعية تحتاج الى صهرها فى موضوع متكامل ٠٠ لو حدث هذا لتخلص الفيلم من التعبير المباشر الذى يسبب الجفاف الفنى ٠٠ كذلك لاحظت أن الموسيقى التصويرية لم تعبر عن الحدث بل لم تكن متناسبة معه ، ويظهر أنها موسيقى اسطوانات وليست مؤلفة أساسا للفيلم نفسه ٠

وأيضا لاحظت فى فيلم المنوعات أنه تشكيلة غير متجانسة تجانسا فنيا ، وبعض مشاهده قصد بها « الاغراب » والتعبير الزخرفى ٠

وهذا كله لا يقلل من قيمة الجهود التى بذلها الفائزون ٠٠ ان حسين كمال مخرج تمثيلية المعطف كان بارعا جدا فى الاسلوب وفى التكنيك ، وأعطى الجو الفنى للأحداث ، وسار خلف الكاميرا بمقدرة ، وحرك الممثلين الجدد بامتياز ٠٠ والسيناريست رمضان خليفة كان دقيقا فى تفسير النص الادبى وتحليله وتحويله الى نص تليفزيونى ، وفى رسم حركة الكاميرا ، وفى تحديد المشاهد ، وفى ربط الجزئيات وتعميقها داخل موضوع واحد ٠

وفى فيلم اللحظة الخالدة قدم المخرج ابراهيم الشقنقيرى لمسات فنية فى غاية الابداع ، واختار أنسب الاماكن لوضع الكاميرا ، ومهد للحظة التفجير تمهيدا بارعا ، فرأينا الأنفاق ــ مثلا ــ قبل أن تمارس وظيفتها ، ثم رأينا بعد ذلك مرور اللحظة الحاسمة ، وكان فى ذلك كله واعيا بالتطابق بين التوقيت الزمنى والمعانى ، وبهذا نجح فى المزج بين الماديات والمعنويات ٠

ان الفائزين لم يفوزوا مصادفة ، بل فازوا بجدارة ، ولكن من المهم جدا أن ندرك أن البرامج الفائزة لا تمثل « **متوسط المستوى الفنى** » للبرامج المألوفة التى نشاهدها فى التليفزيون يوميا ، بل أنها فى الحقيقة تمثل مجهودا ضخما بذل معظمه من أجل المهرجان التليفزيونى ٠ ومع ذلك فانها تدل على أنه من الممكن أن يصل انتاجنا التليفزيونى الى نفس هذه المستويات ، والى أرفع منها ، لو وضعنا فى اعتبارنا أن المسألة ليست مسألة جوائز فقط ، ولكنها أولا مسألة رفع مستوى انتاجنا بصفة عامة ، ومشاركة العالم المتقدم فنيا فى ممارسة الفن التليفزيونى كأداة لخدمة المجتمع والاهداف الانسانية ٠

من أجل ذلك يجب أن نستفيد من نتائج الممارسة العملية فى هذا المهرجان العالمى ٠٠ من الاحتكاك الثقافى الفنى ٠٠ من تبادل الرأى مع الخبراء ٠٠ من برامجنا وبرامج الآخرين ٠٠ من بحوثنا وبحوثهم ٠٠ من كل التجارب وكل المزايا وكل الأخطاء ٠٠ يجب أن نستفيد من ذلك ليس فقط فى رفع مستوى البرامج التى نشترك بها فى المهرجانات العالمية ، بل أيضا ــ وأولا ــ فى تعميق تفكيرنا التليفزيونى وتنمية الوعى التليفزيونى ٠

من أجل ذلك يجب أن نتعمق فى بحث المشكلات التى أثيرت فى المهرجان سواء فى البرامج او فى البحوث ، وأن نصل من هذا البحث الى نتائج محددة نعرضها للمناقشة فى المهرجان القادم ٠

خذ مثلا مشكلة الجمهور ٠٠ لقد أصبح من اللازم لنا أن نواجه هذه المشكلة الهامة جدا ٠٠ فنحن نؤمن بأن الثقافة للشعب ، ومنها الثقافة

التليفزيونية طبعا ، ولكن بسبب ظروف خاصة بنا لاتزال هناك فوارق ثقافية بين الجمهور ، فما هو نوع ومستوى البرامج التى ينبغى أن يقدمها التليفزيون عندنا ؟ ونحن نقدم برامجنا على ثلاث قنوات ، فما هو الطابع الذى ينبغى أن تلتزمه كل قناة ؟ وكيف يمكن تصنيف الانتاج بين برامج التسلية والترفيه والتثقيف ؟! وما معنى التسلية مثلا ؟! ان البحث الذى قدمه التليفزيون العربى فى المهرجان أشار الى نقط كثيرة من هذا القبيل ،ولكنه لم يحدد مفهوماتها تحديدا منهجيا ٠٠ هو بلا جدال بحث قيم ، ولكنه لا يعدو تجميعا لمعلومات كثيرة عن نتائج ممارستنا للتليفزيون ، دون أن يعطى التخطيط المنهجى الذى يجب أن تلتزمه لحل المشكلات التى تعرض لها ٠٠ ومن الملاحظ أيضا أن هذا البحث أطلق تسميات كثيرة دون تحديد لمعالمها ٠٠ فمناقشة اهتمامات الجمهور بالبرامج الترفيهية ثم الثقافية تحتاج أولا الى تحديد ماهية الترفيه أو الثقافة فى أذهان الجمهور ٠٠ ان روايات شيكسبير مثلا يمكن أن تعتبر روايات ترفيهية فى مجتمع مثقف ، مع أنها من الروائع الثقافية ٠

والبحث الذى قدمته تشيكوسلوفاكيا موضوعه برامج المنوعات ، وسمعت أحد اعضاء الوفد التشيكى يقول فى حديث تليفزيونى ان هدف هذا النوع من البرامج هو الترفيه والتسلية واضحاك الناس ٠٠ ولكن هل كان ما يرفه أويسلى أو يضحك يعتبر فنا ؟! بديهى أن لهذه الالفاظ معانى مختلفة اذ أن ما يبعث الضحك فى الجمهور التشيكى قد لا يضحك جمهورا آخر فى بلد آخر ، وما يضحك الفرد المثقف قد لا يضحك الفرد الاقل ثقافة ٠٠ هناك بلا شك اختلافات لا حصر لها فى تفسير الالفاظ ، وهذه الاختلافات تتعلق بالبيئة والمزاج والتكوين النفسى والتكوين الثقافى ٠٠ الخ ٠٠ ولا شك أيضا فى ضرورة الالتزام بقواعد الفن التليفزيونى والاسلوب والتكنيك ٠٠ كل هذا من اللازم أن نتعمق فى بحثه ٠

والبحث الذى قدمه الوفد السوفييتى يحتاج أيضا الى دراسة عميقة ٠٠ ان موضوع هذا البحث هو الدراما فى المسرح والتليفزيون ، وقد تناول النصوص الادبية وعلاقتها بالتكنيك الفنى ٠٠ وهذه المسائل تهمنا جدا، لأن للتليفزيون عندنا أثرا كبيرا فى المسرح ، بل انه هو الذى أحدث هذه اليقظة التى يعيش فيها مسرحنا ، ومع ذلك فنحن للآن لم نناقش العلاقة بين فن المسرح وفن التليفزيون ، بل اننا ننقل المسرحيات الى الشاشة التليفزيونية دون أن نحاول بحث امكان التفريق بين المسرحية التى تكتب للمسرح والمسرحية التى تكتب أو يمكن أن تكتب للتليفزيون فقط، وهذه ايضا مسائل تتشعب فيها الآراء والنظريات ، ويمكن أن توضع موضع الدراسة العميقة ، ويمكن أن ترشدنا الى دقائق فنية كثيرة ٠ ويمكن أن تؤدى الى خلق نظريات جديدة ٠

والبرامج أيضا : برنامجنا وبرامج الآخرين تحتاج الى دراسات تطبيقية ودراسات مقارنة ٠٠ ومن اللازم أن ندرس مدى ارتباط هذه البرامج ببيئاتها الفنية والنظريات الفنية التى قامت على أساسها ٠٠ ان هذا يفيدنا فى معرفة معنى التكنيك والاسلوب والتناول الموضوعى ، وأسباب اختلافها بين بيئة وبيئة أخرى ، ويفيدنا أيضا فى المساهمة مع الدول المتقدمة فنيا فى ادراك التكنيك التليفزيونى وهو تكنيك لم تتحدد بعد معالمه فى العالم كله ٠٠ كذلك يفيدنا فى معرفة اسباب الاختلاف النوعى والموضوعى بين البرامج باختلاف طبيعة ووظيفة الاجهزة التليفزيونية ٠

سنعرف مثلا أن الانتاج التليفزيونى مرتبط بثلاثة عوامل رئيسية ، هى الواقع الفنى، والمفهومات الفنية ، والثقافة الفنية ، وهذا يشكل لكل دولة نظريات فنية معينة ، فهل لدينا مثل هذه النظريات؟ ان التليفزيون عندنا جهاز شعبى ٠ ولابد من خلق وتطوير انتاجنا على أساس نظريات تستهدف خدمة الشعب ٠٠ واذن فمن الضرورى أن نتعمق فى دراسة كل التجارب التى ظهرت فى مهرجان التليفزيون لنواصل انتصارتنا ونعمق مفهوماتنا ونمارس الفن التليفزيونى بوعى وفهم ، ونخلق نظرية عربية للفن الالكترونى ٠



حول الأدب في أسبوع

يقدمه عبده بدوي

لقاء على حب

لقد كادت بعض المصطلحات تتحدد فى عالمنـــا العربى ، بينما لايزال بعضها الآخر يتشكل ليأخذ العديد من اللمسات التى يمكن بها اعطاء شحنةضوء حاسم فى نفس القارىء •

ومهما يكن من شيء فانى ساتحدث هنا من خلال مصطلحين يترددان كثيرا فىالحقل الشعرى همــا « **اللامعقول** » و « **التمرد** » •

فالانسان الاول هو صاحب القلم الذى يغمســه صاحبه فى لامعقولية الحياة ، والذى أصبح فكره مرتبطا أشد الارتباط بالاشياء غير المعقولة فى الوجود ومن هنا فهو يحس أن العالم ضده، وان الناس ضده وان صورته فى المرآه ـ **مادامت فى مواجهته** ـ ضده ، وفى ضوء هذا يكثر الحديث عن المــوت والغربة وشقاء الانسان وكسر النمطية ٠٠ فهو فى عالم بلا مجتمع ولا اله ، أو بعبارة أخرى فى عــالم يرفض فيه المجتمع والاله ، ومن هنا تكون من رموزه فى هذا العالم ، الحصــار والطاعون والطنين والخوف ، والحوائط ، والعدم •

ولعل شيئا من هذا لايمكن الاهتداء اليه بسهولة فى الشعر العربى ، لانه ينبع من مواقف شمولية لها أساس فلسفى عام واع • قد يكون الوجودية وبعض المــواقف الاخرى ، ولن يذهب بنـــا الظن الى أن الوجودية من المذاهب الحـــديثة لانهـــا ـ كحقيقة فلسفية ـ من أقوم المذاهب ، ومن أحدثها فى الوقت نفسه •

ولعل ما يقابله هنا هو «**الرفض**» فى الفكر العربى الذى بدأ فى أول الامر شعارا لعملية «التحكيم» فى الاسلام ، ثم تحول بعد ذلك الى التيار الذى أكـده الخوارج ، ثم اعتنقــه الشعوبيون ، والذى يمكن تحديده ـ فى عالم الشعر على الاقل ـ بالرغبة فى تغيير النظام ، فهو هنـــا يستند الى نظام سياسى واجتماعى معاصر ، وان كان ينجح فى بعض الاوقات فى الهجرة الى بعض المواقف الكونية ، ثم يعود ثانية الى المرتكز السياسى والاجتماعى •

ولعل من يمثله فى العصر العباسى مثلا ٠٠ بشار وابن المقنع ، والخليع ، والرقاشى ، وابن يسير ٠٠ وسهل بن هارون ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى •

ولعل الدكتور **طه حسين** قد قرب هذا الى اذهاننا حين تكلم فى «حـــديث الاربعاء» عن مجون العصر العباسى فقال : «لو انى أردت أن أشخص هــــذه

الزندقة تشخيصا أدبيا لقلت : انها ضرب من السخط على العرب وعاداتهم وأخلاقهم ومحافظتهم ودينهم بنوع خاص · · هي ضرب من هذا السخط ومن التكلف بحياة الفرس وعاداتهم ولذاتهم وحضارتهم وما ذاع فيهم من عقيدة دينية ·

اما المتمرد : فهو الانسان الذى يثور بوعى ، ومن هنا فهو لاينكر المطلقات ومنها الله ، وان كان ينصب نفسه فى مواجهتها ، كما انه لاينكر التاريخ ، وان كان ينكر العكوف عليه ، فهو كما يكون ضد الماضى يكون ضد الحاضر ، ومن هنا يصبح التمرد حركة ايجابية لاتعكس شيئا من «الحقد» الذى ينشأ من العجز ، والذى يحول الانسان الى نار تأكل بعضها ، وعلى كل فرموز التمرد تتردد فى الغالب بين الضوء والبحر والامتلاء والوضوح ·

واذا كان من الصعب أن يتحقق هذا فى الشعر العربى ، فان المصطلح الذى يعتبر قريبا من هذا المصطلح هو « **المحتج** » والذى يمكن تحديده بانه الذى لايريد تغيير النظام ، وانما تغيير الظروف فى ظل النظام، وكما تكون له هذه الصورة الجادة ، فانه يمكن أن تكون له صورة لاهية على حد قول الشاعر «ابن مناذر» ·

مزندق الظاهر باللفظ وفى
باطن اسـلام فتى عف

لست بزنديق ولـكنما
اردت ان توسـم بالظرف

ولعل الأمثلة للمحتج تتحقق فى الفرزدق ، والمتنبى ، وابن مفرغ وبدر بن حارثة ·

وان كان ما يلفت الى الانسان -اللامعقول والمتمرد هو ما تحدده بعض الفلسفات من أن الانسان خالق نفسه ، والمسئول الاول عن مصيره ، ومن أن الوجود الحق يعنى الاختيـار ، وان الانسان هو المسئول ، والحركى ، والذى لاينبغى أن يسلم حتى ولو لم يكن الطريق أمامه واضحا ، صحيح أن الانسان حيثما وجد يضىء ولكن عليه الا يرى الا ما يضيئه ، ومن هنا يمكن أن يحكم بالعدم على الانسان الذى يعيش بتكرار العادة ، واجترار الذكرى ، والاستناد الى «الجذر» القديمة ، ذلك لانه ينبغى عليه أن يكتشف نفسه دائما ، وأن يظل فى حالة «اندهاش» لكل ما يكتسب ، ولعل خير من يمثل المحتج فى الشعر الحديث هم شعراء الجمهورية العربية المتحدة ·

أما اتجاه « الرفض » فيمثله شعراء بلبنان ، وهو لاينبت هناك على مسطح الكون ، وانما يرتكز فى الغالب على السياسة ، ثم انه قد يتخطى دائرة السياسة الى دائرة الكون ، ولكن السياسة تظل دائما الرافد الكبير، وفى حقيقة الامر نراهم يعتمدون على ايديولوجية «القوميين السوريين» ، ولعله ليس من الغريب أن يكون الثلاثة الذين يركز عليهم فى هذا المجال ، وهم أدونيس ، ويوسف الخال ، وانسى الحاج من القوميين السوريين ، الذين يضعون فى مخططاتهم عدم الاعتراف بالدين والقومية ، وضرب العروبة بالفينيقية ، والى جانب هؤلاء يوجد عدد من الشعراء الذين لايكفون عن الغناء للمسيح والاستدارة للحياة ، وفى داخلهم دائما أن هذا الاتجاه السلبى هو الذى يمكن به ضرب الاسلام ·

واذا عرفنا أن هذا التيار يوجد فى لبنان ندرك أن الاستاذ الدكتور محمد النويهى – فى المقال المنشور فى هذا العدد – يجهد نفسه فى الدفاع عنهم من خلال **الميثاق** ، ومن خلال خطاب للرئيس **جمال عبد الناصر** فى استقباله لاعضاء المجلس التشريعى لقطاع غزه حيث ينتهى الدكتور الى أن مأساة فلسطين لم تكن الا النتيجة المحتومة «لانحلالنا المادى والخلقى والوطنى» ، ذلك لان هؤلاء الشعراء – من واقع حياتهم وشعرهم – ضد الميثاق ، وضد الجمهورية العربية المتحدة ، وضد فلسطين ، وضد الاشتراكية وضد كل القيم الشريفة ، ومن هنا فهم لا يطهرون الجرح – كمـا يقول الدكتور – وانما هم الجرح نفسه ! ·

فالدكتور النويهى يعطى لاصحاب هذا التيار الحق فى اثارة السخط الدينى ، والشعور الأخلاقى ، وجرح الحساسية القومية ، وكأن هذه أصبحت اغراضا جديدة للشعر ، للثورة على ما فينا – على حد تعبيره – من عيوب وآثام ، ومركب نقص ، وعلل وآفات ، والذى أحب أن أؤكده للدكتور أن العيوب والآثام ، ومركب النقص والعلل والآفات موجودة فى هؤلاء الشعراء الرافضين ، فهم قد باعوا أنفسهم للقوميين السوريين ، ولسفارة فرنسا ، وللمنظمة العالمية لحرية الثقافة التى يشترك فى التخطيط لها الصهيونيون، وان مواقفهم فى حرب السويس كانت مشينة ، وانهم «يستدرجون» المحبين للاموال فى كل

بلد عربي ، ثم يعطونهم مما أعطتهم «المنظمة العالمية لحرية الثقافة» ، ومن هنا كان تيار الرفض لاينبع من الغيرة على الوطن ، ولكن ينبع من الذين يدفعون «المكافآت» خارج الوطن العربي .

صحيح أن الدكتور لايعتبر الشاعر رافضا على طول الخط ، وانما يقول :

« هو يكره أشياء في وطنه تستحق الكره ويريد تغييرها الى ماهو أفضل» والآن نقول له: هل الوحدة تستحق الرفض ؟ هل الاشتراكية تستحق الرفض؟ هل القومية العربية تستحق الرفض ؟ هل القيادات الثورية تستحق الرفض ؟ هل الميثاق الذى يشده شدا يقول هذا ؟ أما انا فاضع امامه الحقائق الآتية لواحد منهم :

فادونيس مثلا لم يقبل أن يعيش بعد اتحاد سوريا وسمى عصرنا هناك «عصر الحذاء الذهبي» ، ويدين الاشتراكية في قوله : ان العربي الذى يمتاز في تاريخه الاول بفرديته الفارسة يبدو الآن انه يفقدها أو يتخلى عنها ، ليندرج في جماعية لا اسم لها ولا وجه ، ويوجه الى العرب في الماضي ، والى القومية العربية في الحاضر لا طعنة واحدة بل مئات الطعنات ويرى أن المغتربين نذر الخراب ، وانهم جعلوا من سوريا امرأة محمومة وجسرا للملذات ، ثم يقول : حيث يبدأ الفراعنة يأكل الناس بعضهم بعضا ، وتنتهي الكلمة ، وحيث يبدأ الفراعنة أحمل كتبي وأمضي ، ثم يتحدث عن الرمل والغربان والفيل الأعمى !!

ثم يتساءل السيد الدكتور : لماذا يستمر هؤلاء في استعمال اللغة العربية ، وهو قطعا يدرك انهم يستمرون في استعمالها لأن الجمهور يقرأ بهذه اللغة ، وهو خير من يعلم انهم أول من هشموا الجملة العربية، وانهم يتعمدون استعمال الاساليب الضعيفة عربيا ، والا فما رأيه في هذه الابيات لألمع شعرائهم وهي تكاد تكون سمة عامة :

كن بها الصقع باسم أوروب أرض
اليمن أرض النهر وأرض الجمال
باركتك اليد الأعلت على القفر
السخت أول الزمان على تربة

ثم أخيرا ان منهم من يكتب شعره ــ للجماهير العربية ــ بالحروف اللاتينية كتلك التجربة التى قام بها الشاعر سعيد عقل .

ثم ان مواقفهم الخاطئة لاتقف عند هذا ، وانما تتعداها الى التعصب والحرب الباردة باسم الدين ، فهم يرفضون التراث الاسلامي دون الجاهلي ودون المسيحي في المنطقة العربية ، وهم قد يضحون بالشعر من أجل الدين الى حد أن ادونيس يقول عن تجربة يوسف الخال انها «ايمان هو في المعنى الاخير اكثر اهمية من الشعر» .



واذا كان الدكتور النويهي يقول ان رفضهم لتراثنا الديني هو اساءة استعمال الدين على أيدى رجاله ، فنحن نسارع فنؤكد أن احدا منهم لايرفض المسيحية ، وانما الرفض للاسلام وتراثه ، ثم تؤكد انهم يقاطعون الاسلام مقاطعة قاطعة ليس من سببها رجال الدين ، ثم تطلق الحقيقة الثالثة وهي أن تيار الرفض يمثل سماته المحددة شعراء مسيحيون هم : على احمد سعيد الملقب بادونيس وقد كان مسلما ثم دخل المسيحية ، ويوسف الخال ، وأنسى الحاج وجبرا ابراهيم جبرا ، والياس مسوح ، ويوسف الصايغ ، وعزمي مورلي ، وميشال كمال ، وخليل الخوري .. الخ .

والآن يصبح طلب الدكتور التماس المعذرة لهم ، وتطهير الدين الاسلامي مما سبب رفضهم أمرا غير ذي موضوع !

ثم لماذا يجعلهم الدكتور النويهي ثمرة لثورتنا والتيار الذى يمثلونه لايقوم الا على أساس واحد هو النيل من ثورتنا ومخططاتها والاتصال الواضح العلني بأعدائها ؟

ولماذا يجعل الدكتور النويهي تأثير الثورة على هؤلاء الشعراء رفض الدين والاخلاق والعروبة .. ولماذا يجعل ثمار الثورة هذه «الاقانيم الثلاثة» ولا

يجعلها فهما وعمقا واحتضانا للحياة ؟ ولماذا يقتصر هذا الأثر على لبنان ؟

ولماذا يقحم الميثاق فيبعض التأثرات التى لايقرها الميثاق ؟ ولماذا يضع كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى استقبال اعضاء المجلس التشريعى لقطاع غزه بهذه الصورة ، دون أن يشير الى مئات الكلمات التى تشيد بالعرب فى الماضى والحاضر حتى لا يكون هناك مكان للوهم أو الظن فى جدية القومية العربية ٠٠ وبخاصة فى هذه الايام التى ينعقد فيها مؤتمر القمة العربى !



واذا كان يبيح القول بأنا رمل مجدب عقيم ، وان الكم الأكبر من انتاج اسلافنا فى الشعر والنثر دمغ بطابع الجمود الفكرى والخلقى والجمالى وان هذا مايبرر ثورتهم ، فكيف يبرر دعوتهم جميعا الى «الفينيقية» وما هو هـذا التراث الفكرى والخلقى والجمالى عند الفينيقيين ؟

واذا كان يسمح لهم بامتداد النظرة ، فكيف يفسر وقوفهم ضد التراث الاسلامى، وهل التراث الاسلامى اقل قيمة من التراث الجاهلى ، او التراث المسيحى فى المنطقة ؟

ثم لماذا يقارن الاستاذ الدكتور بينهم وبين فخر البريطانيين بشللى ، وبيرون ، ووايلد ، وويلز ، وشو ، وهو أول من يعلم أن أحدا من هؤلاء لم يرفض حضارة بلاده ، ولم يقل بتقسيم الوطن الأم ، أو الدعوة الى افساد اللغة وكتابتها بغير الحروف اللاتينية — عن نزوة — ان الدكتور يعرف أن مواقفهم لاتعدو أن تكون نوعا من الهجاء الاجتماعى ، وان أغلب هذا الهجـاء كان منصبا على السياسة على نحو ما فعل الشاعران درايدن ، وبوب ، وكما فى قصيدة بيرون عن ثورة النساج فى مقاطعة نوتنجهام عام ١٨١٢ ، وكما فى قصيدة «نظرة فى الحكم» التى كانت ردا على مبالغة شاعر بلاط جورج الثالث الذى راح يصف دخول الملك الى السموات ٠

ثم أخيرا : هل يدلنى الدكتور على تيار شعرى فى اى عصر وفى أية دولة قصر الشعر على السـخط الدينى ، والايـلام الخلقى ، وجرح الحساسـية القومية — على حد تعبير الدكتور الفاضل — انه قد يوجد شاعر تتوفر فيه هذه الخصائص ، ولكن حين تبدو هذه الاشياء بوضوح يكون معناها الارتكاز على أيديولوجية معادية للوطن ، ومع انى لاأميـل الى مايقوله عنهم مواطنوهم — وقد تحقق لى صدق مايقال عنهم — الا انا نجد فى شـعرهم ما يتطابق مع مخططات القوميين الســوريين ، وكل أعداء الثورة المصريين ، ولعل المفارقة هنا هى تبرير موقفهـم بالميثـاق ، وبخطبة السيد الرئيس فى استقبال المجلس التشريعى لقطاع غزة ٠



لقد كنت أحب أن أقف مع الدكتور النويهى عند الخصائص الفنية لهذا الشعر ، ولكن الدكتور آثر الحديث من خلال السياسة ، ومع انى ألتقى معه فى أن نقد الفن يجب ألا يقام فقط على الاعتبارات الفنية الا انى آثرت فيما قدمت من قبل عن شعراء الرفض أن أنظر اليهم من خلال العمـل الفنى وحده حتى لاتدخل فى «الغابة» العجيبة فى هذا العصر ، ولكنى رأيت الدكتور يدافع بالميثاق عن الذين لا يؤمنون بالميثاق ، ورأيت تصرفا فى «التأويل» جعلنى أقف معه — **على حب** — لنحاول الاهتداء الى الحقيقة ٠

لقد وقفت معه من قبل **«على الحافة»** حين رد على بشأن انتشار الرموز والمواقف المسيحية فى شعرنا المعاصر ، وأشهد انه كان أستاذا كريما ، لأنه وصل الى حقيقة موقفى بعيدا عن التعصب والأنانية ٠٠ وأعتقد انى فى موقفى هذا — **وكل تقدير لسيادته واعزاز** — لاأحاول الا الوصول الى الحقيقة ، ولعل مزيدا من هذه **اللقاءات** المثمرة يوصلنا الى الحقيقة وسواء على أن تزدهر الحقيقة من قلمه او أن تورق من قلمى :



القوة الذاتية للأمة العربية

لا يكاد العالم يعرف أمة اجتمع لها من خصائص القومية ما توافر للأمة العربية من أقصى شواطىء المحيط الاطلسى حتى ضفاف الخليج العربى .. أمة مترابطة جغرافيا ، متكاملة اقتصاديا ، تحتل المركز الاول بين قارات العالم القديم وهى فوق هذا وذاك تضم شعبا واحدا اجتمعت له ــ وحدة اللغة التى تصنع وحدة الضمير والوجدان ــ ووحدة الامل التى تصنع وحدة الفكر والعقل ــ ووحدة التاريخ التى تصنع وحدة المستقبل والمصير ــ وبهذه المقدمات استطاع الشعب العربى أن يرفع المشاعل على دروب الفكر الموحشة ومسالكه المظلمة . فبنى حضارة رفعت من قدر الانسانية وانارت لها السبيل . ومن هذه المقومات استمدت الامة العربية أهم ظاهرة انفردت بها عن سائر أمم الارض وهى قوتها الذاتية الكامنة فى أعماق شعبنا العربى . تلك القوة التى مكنته على مر التاريخ من الصمود فى وجهه الاعداء على الرغم من توالى المحن والكوارث ..

واذا كان شعبنا يواجه الآن الكثير من التحديات وانواع الضغوط المختلفة ــ تلك التحديات التى تنعكس على واقعة المجزأ سياسيا ، وامكانياته المبعثرة اقتصاديا .. فان هذا الواقع لم يمنعه من الالتقاء المباشر السريع لدرء الاخطار المحيقة بوجوده..

ولعله من أروع الأمثلة على ذلك اجتماع أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء شعبنا العربى فى مؤتمر القمة العربى الأول والثانى .. واذا كان مؤتمر القمة العربى الأول قد اجتمع من اجل فلسطين فان المؤتمر الثانى وما يليه من مؤتمرات دولية ــ سوف يكون لها من الآثار الحاسمة ما يؤكد وحدة النضال القومى على مستوى الوطن العربى الكبير ..

ولاشك ان هناك من القضايا العربية الشىء الكثير الذى يستطيع اقطاب شعبنا أن يضعوا الحلول الحاسمة لمعالجتها . فبخلاف قضايا التخلف الاقتصادى ، نجد امامنا أشياء، أصبح من المحتم علينا ان ننظر اليها بعين الاعتبار . على أن لها خطرها القريب والبعيد نسبيا على وجودنا القومى ذاته . ومن الاخطار القريبة ولا شك قضية اغتصاب ارضنا العربية فى فلسطين السليبة . بالاضافة الى أنه لا يقل خطرا عن وجود الصهاينة فى فلسطين الوجود الاستعمارى فى الجنوب العربى المحتل . ومنطقة الجنوب كما نعلم جميعا وعلى مر التاريخ تشكل العمق الاستراتيجى للمنطقة العربية باكملها. فاذا أضفنا الى ذلك عوامل التسلط الاستعمارية الرهيبة على مقدرات شعبنا فى الجنوب استطعنا أن نرى الى أى مدى يشكل الوجود الاستعمارى فى هذه المنطقة العربية الخطر كل الخطر على تطلعات شعبنا المشروعة فى الوحدة والتضامن من أجل مستقبله المنشود. واذا كانت القواعد الاجنبية التى تستتبعها عوامل السيطرة الاقتصادية من العوامل الخطيرة التى نبحث الآن عن حل لها ، فانه لا يقل عنها خطرا ذلك التناقض الرهيب الذى تعيش فيه وعليه جماهير شعبنا فى أجزاء وطننا المختلفة .. ولعل هذا التناقض

الحضارى هو من الاسباب المباشرة التى يرتكز عليها الاستعمار فى تثبيت وجوده ·· ان الجهل والتقاليد القبلية الموروثة اشياء اصبحنا فى اشد الحاجة الى بحث الوسائل الكفيلة – للقضاء عليها – وان حملة ضد الجهل التخلف الفكرى والحضارى على مستوى الوطن العربى ككل – ينفق عليها من فائض ارباح البترول العربى – تعتبر بمثابة الضرورة الملحة التى يفرضها الايمان بالانسان العربى صانع الحضارة والتاريخ ·· اننا ولاشك نعيش فى عصر تفرض طبيعته على الناس ان يعيشوا فى وحدات كبيرة – تستطيع ان تثبت مقدرتها داخليا ودوليا على المساهمة الفعالة فى التقدم الحضارى للبشرية، وتستطيع كذلك ان تساهم فى حفظ السلام العالمى ، وان تحافظ على حقوقها كاملة لصالح تقدم شعبها ·· ان أوربا التى ظلت شعوبها تتطاحن طوال تاريخها – تسعى الآن الى شكل معين من الوحدة – فاصبح لدينا الآن ما نعرفه باسم السوق الاوربية المشتركة ، والمجلس البرلمانى الاوربى – ومجلس وزراء السوق – الخ – الخ ·· ونحن هنا لانقارن بين وحدة أوربية تقوم على اساس تقوية الاحتكارات الاوربية وتوحيدها – للوقوف أمام الاحتكارات الامريكية – أو لخنق الشعوب الصغيرة ، وبين وحدتنا العربية المنشودة بمحتوياتها الانسانية المستمدة من واقع شعبها ، ولكننا سوف تكون مقصرين فى حق شعبنا اذا لم تكن وحدته قوة ذاتية نابعة من أعماقه الحقيقية تلك الاعماق التى سوف تاخذ صورتها الفعالة عندما يختفى ذلك التناقض الحضارى الرهيب بين أجزاء الوطن الكبير ، وهى اشياء كثيرة لا نستطيع ان نوردها جميعا هنا ولكنها اشياء هامة لا بد من النظر اليها بعين الاعتبار، ويجب ان تعطيها من اهتمامنا وعملنا الجهد الكبير ·

وكتاب اليوم – يعالج نقطة هامة – وهى القوة الذاتية للامة العربية ، وهو من تاليف الاستاذ حسنى عبد السيد ·· والكتاب يبحث القوة الذاتية لامتنا على مستوى تاريخها الطويل قديما وحديثا ، وعلى الرغم من ان المؤلف لم يعرض للموضوع بالتفصيل وبالدوافع الحقيقية لمراحل تطوره – الا انه استطاع أن يقدمه بصورة عامة على أساس أن معدن شعبنا الاصيل بايمانه وتراثه الحضارى وتمسكه بالقيم والمثل العربية العليا استطاع ان يحفظ عليه وجوده ضد جميع القوى التى أرادت أن تمسخ هذا الوجود وتحركه الى العدمية المحتضرة ·

« ولعل من أبرز الاحداث التى اظهرت معدن الامة العربية الاصيل فى أحرج الاوقات التى مرت بالعالم العربى ماحدث فى العصور الوسطى وعلى وجه التحديد سنة ١٠٩٦ م عندما هبت اوربا لاستعمار العالم العربى تحت شعار الدين فيما يسمى بالحروب الصليبية · وصادف هذا الزحف ضعفا فى القوى العربية نتيجة انهيار كل من الخلافة العباسية ببغداد والفاطمية بالقاهرة ، فلم يكن لخلفائهما من الخلافة وسلطانها الا اسمها وحكمت العناصر الاجنبية باسم الخلافتين ، هذا فضلا عن التنافس الشديد بينهما على النفوذ فى العالم الاسلامى ولو من الناحية الاسمية · وكانت النتيجة تأسيس الامارات الاستعمارية الصليبية فى كل من الرها وانطاكية وطرابلس وبيت المقدس ، وحلت كارثة الاحتلال بالوطن العربى لما كما يجرى بارض العرب من تقاعس فى الهمم وانقسام فى الراى وفرقة بين زعماء العرب أدت الى حلول النكبة بهم · وقد استطاع صلاح الدين الأيوبى بما وهب من صفات الزعامة أن يطوى طلابها من اقزام السياسة فى الوطن العربى فى زمن يسير وأن يكشف عن حيوية الامة العربية ، تلك الحيوية التى لايعوزها الا من يحركها متمسكا باهداب المثل العليا للنضال القومى فى سبيل الصالح العام – وعند ذلك استطاعت الامة العربية أن تكيل للاستعمار الاوربى سنة ١١٨٧ م أول ضربة قاصمة فى معركة حطين التى تداعت بعدها حصونهم الواحد بعد الآخر حتى استطاع الاشرف خليل بن قلاوون أن يزيل آخر تلك المعاقل سنة ١٢٩١ ، وخلصت بذلك أرض العرب لابنائها بعد حروب استمرت نحو مائتى عام ، كشف فيها أبناء الامة العربية من قادتها المخلصين عن قوتها الكامنة ومعدنها الاصيل وقادوها الى النصر · وليس أدل على مدى ما تتمتع به امتنا العربية من قوة ذاتية على البقاء ، تلك القوة المستمدة من ماضيها التليد وتقاليدها القوية، فقد حدث فى أواسط القرن الثالث عشر حينما فوجىء العالم باخطر موجة تخريبية عرفتها البشرية حتى ذلك الوقت أن هبت جموع التتار الزاحفة من اواسط آسيا تنشر الفزع والرعب والدمار فى طريقها وتأتى على الأخضر واليابس ، وتدمر كل ماانتجته قريحة الانسان فى ميدان التقدم الحضارى، فاكتسحت الدولة الخوارزمية

وضربت مدنها العامرة وواصلت زحفها حتى أسقطت بغداد سنة ١٢٥٨ م في موجة من الارهاب وسفك الدماء يقصر عنها كل وصف ، وانسابت تلك الموجة الى دمشق وحل بدمشق وبغيرها من مدن الشام ما حل ببغداد ، وعند ذلك هب الشعب العربي في مصر ليدافع عن نفسه وعن قوميته العربية في الشام ـ فكانت معركة عين جالوت سنة ١٢٦١ م التى استطاعت فيها الامة العربية أن تقضي قضاء مبرما على موجة الزحف المغولي الذى بقى ولم يهزم حتى هذا التاريخ منذ زحفه من أواسط آسيا ـ ولقد أدت الامة العربية من خلال هذه المعارك أجل الخدمات للعالم المتمدين ، اذ أن النصر الذى أحرزته على المغول حال بينهم وبين تدمير مراكز الفكر الانسانى ومعالم الحضارة في جنوب غربى آسيا وأوربا ٠

ويتضح لنا مما تقدم أن الامة العربية تملك من مقومات القوة الذاتية ما يجعلها قادرة في أحرج المواقف على تجميع نفسها حول هدف واحد لتقرير مصيرها على ضوء هذا الموقف الذى يجمعها عند الخطوب ، وهو أن ارض العرب للعرب ولن تستطيع قوة بالغة مابلغت من الطغيان والجبروت أن تحل محل القومية العربية قومية أخرى تملأ فراغها في المنطقة٠

ففى أثناء فترة الاحتلال العثمانى لم يتمكن الاتراك العثمانيون برغم استنادهم الى الدين لتبرير وجودهم في الوطن العربى ـ من القضاء على القومية العربية اذ قامت عدة ثورات في وجه الاتراك لتخليص البلاد العربية من نيرهم ، ومن هذه الثورات اعلان استقلال مصر أيام على بك الكبير في القرن الثامن عشر وتعاون على بك مع الشيخ ضاهر العمر من عرب فلسطين للوقوف في وجه الادارة العثمانية وتخليص البلاد العربية من سيطرة الاتراك ٠

وعلى الرغم من استمرار الحكم العثمانى في البلاد العربية نحو أربعة قرون كانت كافية بما عرف عن الاتراك من قسوة وعنف واهمال لكل معالم التقدم الفكرى ـ لمحو مقومات الشخصية العربية ـ لولا تلك القوة الذاتية الكامنة في الشعب العربى التى تمكنه دائما من التغلب على عوامل القهر ، وقد تحولت تلك القوة الذاتية عندما رأينا العرب يقومون بعمل أقرب الى العمل الجماعى في أثناء الحرب العالمية الاولى عندما اشتعلت الثورة العربية الاولى في سنة ١٩١٦ بتأييد من سورية والعراق وبزعامة الشريف حسين جد ملوك الاسرة الهاشمية في الاردن ٠

ومن أبرز الامثلة على مدى قوة العرب الذاتية انتصار ثورة الجزائر على الاستعمار الفرنسى الغاشم بعد كفاح دام نحو ثمانى سنوات وبعد احتلال دام أكثر من قرن وربع قرن من الزمان حاول فيه المستعمر ابادة الشعب الجزائرى وازالة معالم القومية العربية في القطر الشقيق ـ فصادر ممتلكات الشعب وحارب اللغة العربية حتى أنه في سنة ١٩٤٥ م صدر مرسوم في الجزائر باخراج كل من لا يعرف الفرنسية من المساجد والمعاهد الاسلامية ٠ هدف ذلك واضح اذ كان الاستعمار الفرنسى يريد تجميد الثقافة العربية ، واستمر الاستعمار الفرنسى في عدوانه فاعلنت السلطات الفرنسية منشورا في الثامن من مارس سنة ١٩٣٨ اعتبرت فيه اللغة العربية لغة أجنبية يحرم تعليمها ، وأكثر من هذا وذاك لجأ الفرنسيون الى تحويل عدد من المساجد الاسلامية الى كنائس كاثوليكية٠ ومن أمثلة ذلك مسجد القشاوة الذى تحول الى كنيسة نوتردام دى فيكتوار، وجامع القصبة وقد حوله الفرنسيون الى كنيسة سانت كروا ـ وهذا في مدينة الجزائر وحدها ٠ كل هذه التدابير التى اتخذتها فرنسا بدافع التعصب المرير البعيد عن روح المسيحية السمحة كان الغرض منه تحقيق شعار « الجزائر فرنسية » ، ولكن على الرغم من كل هذه المحاولات احتفظت الجزائر بشخصيتها العربية وصممت بعد فترة طويلة من البطش والارهاب على أن تعلن ثورتها المظفرة في أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ وانتهت بتحرير الجزائر في أوائل يوليه ١٩٦٢ ٠ ولقد كان انتصار الجزائر مثلا رائعا من أمثلة التضامن العربى من أجل شد أزر حركات الكفاح العربى بدافع من الأخوة العربية التى ترى في الحرية العربية كلا لا يتجزأ ، اذ وجدت ثورة الجزائر أكبر تعضيد لها من الثورة العربية في القاهرة ٠٠

وهكذا نرى أن مؤتمر القمة العربى في دورتيه الاولى والثانية انما هو وضع طبيعي تفرضه الضرورة الملحة النابعة من القوة الذاتية للامة العربية ٠٠ حيث يتعرض الوجود العربى باكمله لمحنة المواجهة المباشرة التى تهدد كيانه ، والممثلة في الوجود الصهيونى الاستعمارى الغازى لأرضنا وكذلك لضرورات التمشى مع طبيعة العصر الذى نعيش فيه، والذى يحتم علينا أن تكون وحدة كبرى بدلا من وحدات صغيرة مبعثرة يسهل على الاستعماريين استغلالها وعلى الصهاينة سحقها ٠

قراءات فى المجلات العربية



يقدمها : مصطفى فوده مصطفى

● تطالعنا الآداب لهذا الشهر بتجربة فنان لتوفيق يوسف عواد . وهى حديث قدمته المجلة على أنه من وحى كتاب جديد له بعد صمت دام ربع قرن . فالأديب فى نظر الكاتب « انسان شقى منحه الله ان يرى أبعد من الناس ، وان يحس ما يدق عن حسهم . يمرون هم على سطح الحياة ويغوص هو الى أغوارها . يريد ان يضع أصابعه على كنوزها وأسرارها . تلك مرحلة الرؤيا التى يطلق عليها الكاتب « مرحلة السكوت » التى تمثل عند عمر أبو ريشة : أجمل قصائده . فلقد سئل : أيها فى نظرك أجمل قصائدك ؟ فقال : تلك التى لم يقتلها الحرف بعد . » .

ثم يتكلم بعد هذا عن اللغة فيقول: « واللغة العربية .. كل كلمة من كلماتها تاريخ مكتوب وغير مكتوب، مشحون بالأنفاس التى تتردد خلالها حروفها ، زاخر بأسرار الزمان والمكان اللذين تنقلت فيهما، مضطرب بملايين الأنغام والألوان .. من ملك لغته ، ملك فكره وشعوره وخياله وملك أو كان على متناوله ثقافة بامها وأبيها وحضارة . ومن فاتته عبقرية لغته فاتته عبقرية أمته » .

ويشبه حالة الوحى والالهام واللاوعى والرؤيا بالحالة التى سبقت الخليقة . ويعظم من شان الكلمة فيقول : « **ويل لصاحب قلم تنقلب الكلمة بين يديه الى مومس أو حطبة** » .

ويتعرض بعد هذا للقضية الأزلية : أيهما أسبق فى الوجود : الشعر أم النثر ؟

ولعله لا بأس من وقفة قصيرة عند هذه النقطة التى يقول فيها الكاتب : « من المتفق عليه فى تاريخ الآداب أن الشعر سبق النثر . هذا خطأ . لم يسبق أحدهما الآخر . توأمان ولدا . ولكن الشعر الذى بقى مخطوطا وضاع النثر » .

ولعلى لا أوافقه فى نقطة الاتفاق هذه فالمعروف أن للقدماء رأيهم الذى يخالف رأى المحدثين . فالقدماء فى نقد الأدب واللغة قالوا بأسبقية النثر . وعللوا لذلك بالمقابلة بين طبيعة النثر المطلقة وطبيعة الشعر المقيدة . والمطلق أسبق فى الوجود من المقيد . فابن رشيق يقول :

« **وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب الى التغنى بمكارم اخلاقها . وطيب اعراقها . وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلما تم لهم وزنه سموه شعرا .** » ويعلل القدماء لبقاء الشعر بأنه أشد علاقة بالأذهان، لما له من قيود الوزن والقافية اللذين يربطانه بالذهن .

اما المحدثون وبخاصة فى أوروبا . فيرون ان الشعر أسبق فى الوجود من النثر . ويعتمدون فى

رايهم على راى لارسطو ذكره فى كتابه « الشعر » وفيه يقول :

« التخيل اسبق فى الزمن من التصديق ، فالناس اول ما يسمعون انما يسمعون الأمثال الشعرية التى فيها مشاكلة للأقاويل التخيلية ثم يتدرجون الى الخطابة ثم الى البرهان » .

اذن ليس هناك من اتفاق . ولعله ايضا ليس صحيحا ما يقول به الكاتب من أن أحدهما لم يسبق الآخر . فوجود صور من النثر القديم كالخطابة والحكم والأمثال . ووجود الكتب المنزلة . والقيد الذى يغل الشعر بالوزن والقافية ، غير الموجود فى النثر ، كل هذا يدعونا الى مخالفة الكاتب والقول بأن النثر اسبق فى الوجود من الشعر .

وفى النهاية لست أعتقد أن مثل هذه القضية بذات أهمية ، فسواء سبق هذا أم ذاك . فما يهمنا هو انهما موجودان فى خدمة الفكر .

ولقد ختم الكاتب حديثه عن مسرحيته التى سكت ربع قرن ليقولها ، والتى تساءل النقاد عنها : « أمسرحية هى ، أم قصة ، أم ملحمة ، أم كل ذلك ، أم شىء آخر ؟ » ورد هو عليهم بقوله : « وما يهمنى أن ينوع بنوع أو يحدد بحدود . لقد انبثق منى كما ينبثق الينبوع . الفجر كما يتفجر البركان كلاما بعد سكوت » .

***

● وعن « الواقعية الشعرية فى مسرح تشيكوف » تكلم « صبرى حافظ » . وجعل محور بحثه أربع مسرحيات بدأها بمسرحية «النورس» التى قال عنها تشيكوف أثناء كتابتها « انها تتضمن كثيرا من الكلام عن الادب . وقليلا من الحركة واطنانا من الحب » ومن ثم يرى الكاتب « أن احكام بناء الرمز فيها مثير للالتفات » ، وهو يعتقد « أن أكثر رموز تشيكوف احكاما ليس فى « النورس » بل فى بستان الكرز لأن قمة الاحكام فى البناء الرمزى تتحقق عندما تلتحم دلالات الرمز الرمزية بدلالاته الموضوعية التحاما يصعب معه التمييز بينهما » .

ولعلى أخالفه فى هذا الاعتقاد ، لأن الرمز حينئذ يكون غائما وضاربا فى تيه الغموض . وفى مثل هذه الحالة يمكن للحقائق ان تختفى وأن تشوه وتحور وتفسر تفسيرا متعسفا بعيدا عن الفهم الطبيعى .

وقد تتضارب التفسيرات حول الموضوع الواحد فتكون الفوضى وبلبلة الأفكار . ويورد الكاتب ملاحظة لوليامز مؤداها « ان الرمز فى نورس تشيكوف كان امتدادا حرفيا لرمز ابسن فى بطته البرية .. حيث يستخدم الطائر وموته وبعثه فى شكله المحنط للاشارة الى شىء خاص (بتربيليوف) ومتعلق بالفناء الشامل للحرية ... ذلك الفناء الذى دس بمهارة ولا مباشرة بين ثنايا المسرحية ، وكلنا نلمح اشباحه المخيمة على كل شىء ، فى الحوار ، فى الصمت . وحتى فى رسمه للمنظر .. من خلال هذه الجزئيات جسد تشيكوف فناء الحرية الشامل فى مسرحيته كمعادل لفنائها الواقعى الذى أصاب الحياة بالجمود والجفاف » . وينتقل الكاتب بعد هذا الى الحديث عن الفن فى المسرحية مبتدءا برأى لتشيكوف يقول فيه بعد حديث عن المسرح فى عصره : « اننا فى حاجة الى صور فنية جديدة . المطلوب هو صور جديدة ، فاذا لم يمكن توفرها ، فالأجدر الا يكون لنا شىء على الاطلاق » ثم يقول عن السبب فى قلة الحركة « أما قلة الحركة الخارجية ، فقد جاءت تجسيدا فنيا ممتازا لتيارات الملل والركود والتبلد السارية فى أعماق الشخصيات والتى تودى فى النهاية بأكثر الشخصيات حيوية الى الانتحار ... يبقى بعد هذا الحديث عن الحب فى المسرحية .

والحب فى هذه المسرحية غالبا حب من جانب واحد . حب معذب مكبوت ككل الاشياء فى الواقع ... وربما أمكن اعتبار الحب الشقى الموضوع الرئيسى فى هذه المسرحية ويبدو أن المؤلف نفسه قد وافق الى حد ما على كل هذا التفسير » ولكن الشىء الذى لا شك فيه هو أن كل علاقات الحب هذه جاءت دليلا واضحا على لا جدوى الوجود فى ظل ظروف الكبت الكئيبة هذه وفى ظل الفناء الشامل للحرية . فكانت بهذا عاملا مدعما لعنف الاحتجاج على جمود الواقع وعلى كل ما فيه من تفسخ وزيف ولا حرية . هكذا يتحول الحب تلك العاطفة الخلاقة التى تحمل فى طياتها دلائل الاقبال على الحياة الى كائن مشوه عجوز تملأ الغضون وجهه .

وهكذا يسير هذا البحث الطيب فيحلل لنا الخال فانيا ـ والشقيقات الثلاث ـ وبستان الكرز .

وان الجهد الذى بذله الباحث ليدعو الى الاعجاب بحق .

● **ليس من طريق غير الصراع (٢) :**

قلنا في الموضوع السابق حول هل من طريق غير الصراع ؟ لجميل كاظم المناف في مجلة « العلوم » .

قلنا ، ان التصنيع الآلي له اليد الطولى في البطالة ونقول هنا : انه ايضا ذو اليد الطولى في الصراع حول المادة ، لأن الآلة تنتج أكثر من اليد لذا هي محتاجة الى خامات أكثر . ومن أجل ذلك أخذت الدول الصناعية تتصارع حول المواد الغفل ومواد القوى ، فهي في حاجة الى البترول والمطاط والفحم والحديد والنحاس والقطن واليورانيوم وغيرها وغيرها .

وبعض هذه المواد يمكن وجوده داخل أراضي الدولة الواحدة ، ولكن ليس هذا ميسورا لكل الدول ، فالدول التي يعوزها مادة منها تحاول أن تجد لها مصدرا من دولة أخرى عن أحد طريقين :

١ ـ التبادل التجاري .

٢ ـ السيطرة الكلية على تلك الدولة .

ولكن الذي يحدث غالبا هو الطريق الثاني ، وبخاصة عندما تكون الدولة الغنية بالمواد الخام ضعيفة . ولهذا السبب احتلت بريطانيا يوما معظم القارة الافريقية وآسيا . وخاضت في سبيل ذلك كثيرا من الحروب . ونتيجة لذلك أيضا نرى رءوس الأموال الأوربية والامريكية تحاول أن تسيطر على معظم دول العالم . وبخاصة في آسيا وافريقية وأمريكا الجنوبية .

يقول أحمد بهاء الدين في كتابته عن الاستعمار الامريكي الجديد « لقد كان من المحتم أن يصحب اتساع نطاق رءوس الاموال والمشروعات الاقتصادية تدخل سياسي وان يكون هناك أسلوب آخر للسيطرة» ولعل هذا ليس بغريب فان استعمار بريطانيا لمصر بدأ بالاموال والديون في عصر اسماعيل . كما يقول « مصطفى مؤمن » عن النقطة الرابعة « لقد جزئت القارة الافريقية بين الدول الاوربية ، كما حصلت الولايات المتحدة على امتيازات وحقوق وبخاصة في الموانى الصينية . »

ولقد ظل هذا التزاحم في سبيل السيطرة على الأمم المتأخرة مستمرا حتى نهاية القرن التاسع عشر دون أن يثير مشاكل خطيرة أو تعليقات كثيرة . ولكن حدث بعد ذلك في الفترة ما بين عام ١٨٩٨ـ١٩٠٤ أن توالى في سرعة عدد الحروب الاستعمارية : حرب البوير . حرب البوكرز . الحروب الاسبانية الامريكية . ثم الحروب الروسية اليابانية . ولقد كانت تلك الحروب الاستعمارية العديدة بمثابة تمهيد لألوان من الصراع ، جاءت أبلغ منها خطرا . فلكي تدافع بريطانيا وفرنسا وروسيا عن مصالحها ضد دول التحالف الثلاثي المكون من النمسا والمجر وايطاليا وألمانيا عقدت فيما بينها ما يسمى بالاتفاقية الثلاثية .

وفيما بين عامي ١٩٠٥ ـ ١٩١٤ حدثت بعض الأزمات الدبلوماسية نشأت نتيجة اصطدام المصالح الفرنسية والألمانية في بلاد المغرب كما نشأت خلافات بين المصالح الروسية واليابانية والنمساوية في البلقان وتركيا . ولقد انتهت آخر هذه الأزمات بنشوب الحرب العالمية الاولى التي كانت أول فصول المأساة العالمية ثم أعقبها الفصل الثاني : الحرب العالمية الثانية . وأخيرا كان من المنتظر رفع الستار عن الفصل الثالث ! ذلك ما يقوله الدكتور راشد البراوي في « تاريخ أوربا ـ القرن التاسع عشر » .

ولقد اعترف ميثاق الاطلنطي بان الحربين العالميتين كانتا نتيجة لمعركة التنافس التي نشبت بين الدول الصناعية الكبرى في سبيل الظفر بتجارة العالم وموارده الخام .

من هذا يتبين ان أسباب الحرب موجودة معنا . فهناك التطلع الى حياة أفضل عند الشعوب الصغيرة مثلنا . والشعوب الكبيرة التي تريد أن تفوز كل منها بنصيب الاسد لتوفر لأبنائها حياة أفضل . وهناك الحاجة ، فكل دولة محتاجة لما عند الاخرى من مواد وصناعات . وهناك الخوف . خوف الدول الكبيرة من بعضها البعض . والمتتبع لأخبار الدنيا يجد أنه لا يمر يوم دون ظهور خبر يدل على خوف هذه الدول من صواريخ تلك . وتلك من غواصات هذه ، وهكذا . وخوف الدول المستعمرة من شعوب مستعمراتها أن تعمل للتحرر فتفقد تلك الدول أهم مواردها وخوف مشوب بالحقد من شعوب المستعمرات على المستعمرين . على أننا نفتقد سببا مباشرا للحرب وهو البطالة .



يا نويهي ..!

للكاتب اللبناني سليم عبدالغني الرافعي

حذلقة مرهقة يتمادى فيها الدكتور محمد النويهي في مقاله بمجلة (الشعر) عن ثورة الشكل وثورة المضمون، ويخوض فيه نفايات بحث سطحي مناقض لمنطق التاريخ فما هو الشعر ايها الرجل ؟ الشعر ليس شكلا ولا مضمونا ، الشعر اقوى من الشكل والمضمون ، الشعر لا يستخدم الألفاظ ، الشعر يستخدم الأمة ، والأمة العربية اعظم من ان تفهمها بسهولة ، يانويهي ، لانها خلقت الوزن في صحرائها لينضبط به الكون وينتظم ، وكان الكون لها ولم يكن للغرب ، وكانت (السيمترية) لها ولم تكن من عند الغرب ، ولم تكن العروبة مستعبدة للوزن قبل الاسلام ولا بعد الاسلام ، لان الوزن معناه عندها حركة الارادة الشاعرة ، كالوزن في بعض سور القرآن ، وفي كلام خطبائها وكتابها ، لم تستلهمه من الاغريق ، ولا من امة غير الاغريق ، والذين ثاروا عليه هم الشعوبيون الحاقدون على العبقرية العربية ، ثم ذهبوا في غماره واندسوا في تياره ، وما زال اقوى من العجم والترك والمماليك والانجليز والفرنسيين وسائر المتسلطين .

يا نويهي ! سلهم بربك لماذا يضيقون به ؟!

ينطلق المتشردون الحائرون على ارصفة الشعر المنطلق ، فيحسبهم النويهي من الاغنياء ، او من الاوفياء ، لانهم قلقون ، متشككون مذبذبون مقلدون للغرب، زائغون عنه وعن الشرق، فكيف يصمدون؟!

وعجيب ان يجند الكاتب نفسه للدفاع عن الثورة، ولا ادرى اذا كان يستطيع فهم الثورة حقا ، فكل ما جاء في مقاله لا يعدو ان يكون عارضا من عوارض القلق والتسكع ، فالثورة مناقضة للذبذبة ، لانها عمل حاسم ، اما القلق فقد يدوم في نفس الانسان او في نفس الجماعة دون ان يؤدى الى ثورة ، لانه مرض من امراض الانسانية لا يأبه له الأصحاء ، ولو نهجت الثورة للناس نهج الذبذبة لأصبحت عالة على عصرها ، وعبئا على شعبها .

الثورة لا تعترف بالتقلب والقلق ، الثورة تعنى الاندفاع ، والاندفاع يقتلع التردد .

يا نويهي ! الشعر العربي المرتجى ليس هو الشعر المنطلق كما تسميه وكما تصفه عاجزا عن تحديد مفهومه . الشعر العربي ما هو الا استمرار لشخصية العربي يعبر عن نفسه غير ملزم بالغرب ومذاهب الغرب ، وقد يلزم نفسه بمذاهب الغرب، ولكن العربي لا يكون شاعر امته الا اذا كانت اداته اداة امته ، وروحه روح امته .

وقد اسمعتك الثورة اننا لسنا غربيين ، وان زعماءنا لا يخطبون بالايطالية او الفرنسية او الانجليزية ، ولكنهم يستمدون وجودهم كله من كلمة (القومية العربية) فلو دعونا الى غيرها لما كانوا زعماءنا بطبيعة الحال .

وكل من يدعو الى الذبذبة ، او يبررها فليس باديب الثورة .

وكل من يتعرى من الوزن فليس عندنا بذى وزن،

لأنه يدعو الى حرية ، بل يدعو الى تقليد أدب وافد من بلاد بعيدة ، يريد لنا ان نعيش فيها وننسى بلادنا وحياتنا ووجودنا .

يا نويهى ! دع الثورة فلست منها وليست منك، ودع استشهادك بالميثاق ، فقد صنعه مارد خلاق، لا يؤمن بالذبذبة والنفاق .

مع الامثال البغدادية ..

بقلم عبدالخالق عبدالرحمن

الامثال هى تلك المخلفات التى ورثناها عن آبائنا واجدادنا الأوائل وهى خلاصة تجاربهم على مسرح الحياة ولهذه الأمثال اثرها البالغ فى حاضرنا، فهى الموجه المرشد للأمة، فبها نعرف مايختلج فى نفوسها، وما يستشرى فى اعماقها ، اذ ان الامثال تجارب الماضى الذى تردد صداه فى الآفاق ورنت كلماته فى آذان الزمن ، فهى تعزى الى انواع معينة من السلوك ، يسترشد بها من ضل ، ويستهدى من غوى وهى تنير الطريق للسالكين فى غياهب تلكم الدروب المعتمة ، فتلقى بانوارها الكشافة لتهدى الحائرين ، وتأخذ بيد التائهين ، وتنير السبيل للضالين .

فالأوائل سبروا غور طرائق الحياة المستقيمة ، واستفادوا بتجاربهم المديدة على مر وانصرام الأعوام ، وعرفوا الشيء الكثير من عوامل التقدم والازدهار ، واسباب التقهقر والانهيار .

اننا الآن فى زمن كثيرا مانحتاج فيه أن نعود القهقرى الى الماضى البعيد ، لنسترشده ونستفهمه ، فاذا ما عرفنا معانينا الموروثة من الامثال الماضية ، والحكم السامية ، والمثل الرفيعة ، والأخلاق الحميدة ، وما طرأ على كل ذلك من عامل الذبول والازدهار والتقدم والتقهقر ، استطعنا ان نرى فى حياتنا هذه وجيلنا الحاضر صورا لتلك الحياة فنتلمس مواقع الزلل لنتجنبه ، ونشق لنا طريقا مستقيما لا نحيد عنه فيصل بنا الى شاطىء السلامة والنجاة .

والتاريخ يحدثنا فى اسفاره انه مامن أمة تدرجت فى مدارج الرقى وهى منقطعة عن ماضيها ؛ فالحياة دائما وابدا مستمدة من الماضى المندثر ومن ضرورات الحاضر والرءوس تبقى مشرئبة بأحلامها وآمالها الى المستقبل الباسم ، والأمم والافراد على حد سواء فى هذا السبيل ، فالأمة اذا ما تنكرت لماضيها لا تستطيع السير قدما الى الامام ؛ بل لا بد لها ان تتدهور فى مهاوى الضلال ويهوى بها اعصار الزمن فى مكان سحيق .

وعلى هذا الأساس فاننا نشيد بالجزء الثانى من كتاب (الامثال البغدادية) للشيخ جلال الحنفى الذى تفضل مشكورا فاهدانى نسخة منه وهو يكشف لنا عن امثال من صميم الشعب العراقى بلغته الدارجة التى هى مفهومة لدى كافة افراد الشعب على اختلاف طبقاته فهو يضع بين ايدينا ما ورثناه من امثال اجدادنا السالفين وفى هذه الأمثال مواضع الرشاد ومواضع الخيبة ، والأمثال ضرب من احسن ضروب التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية بعيدة البعد كله عن الوهم والخيال .. كما يقول الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبى . وان المثل قطعة ادب شعبى ينطوى على انتقاد لاذع للحياة كما يقول المؤلف نفسه

وقد بذل فضيلة الاستاذ الشيخ جلال الحنفى البغدادى جهودا جبارة فى كتابه هذا فقد رجع الى مصادر عديدة منها : كتاب الجمهرة لابى هلال العسكرى ، وكتاب اسماء الأشهر فى العربية ومعانيها للدكتور انيس فريحة ، وكتاب الميدانى فى امثال المولدين ، وكتاب الطالقانى فى امثال العامة البغداديين وكتاب يونس السامرائى فى الأمثال السامرائية ، وكتاب الزمخشرى فى المستقصى ، وكتاب لحن العامة لابن هشام الاندلسى ، والامثال المغربية لمحمد الفاسى، والامثال الاندلسية لابن عاصم الغرناطى وغيرها ، وقد شرح المؤلف هذه الأمثال شرحا وافيا ، وقارن بعضها بالأمثال الأخرى، ولذا يستحق المؤلف على هذا الجهد المضنى الذى بذله كل اكبار واعجاب .

نقبلهم ناثرين شاعرين لا شعراء ناثرين !

بقلم عبد الصبور منير

لا يزال القوم الذين يسيرون فى طريق الشعر الجديد يطلعون علينا بين كل آونة وصاحبتها براى جديد ، او برد مستحدث ، او بضربة مستجدة يؤيدون بها قضيتهم ويكسبون بها اليهم أفرادا جددا ..

وكاننا فى سباق كسب اصوات واجتذاب افراد، لا فى مجال فن وشعور .. واين فن وشعور ؟ الا فى الشعر !.

وانى ـ وكلما قرأت لانصار محترفى الشعر

الحر هذا - أحس حسرة وشفقة على هؤلاء المصريين على ان نقبل منهم هذا النثر الذى يضرب فى أجواء الغموض و (الدربكات المعنوية) على أنه شعر ٠٠ وشعر راق ٠٠ مع علمى الكافى بأن هؤلاء جميعا يتجاهلون طبيعتهم ويناقضون أنفسهم وكل منهم يناقض نفسه ، مع انه يناقض الآخرين فى نفس الوقت ، ومع علم كل منهم بأن الطريق هى عكس ذلك تماما ٠٠ ولكنها المجادلة والاختلاف وسياسة « خالف تعرف »٠٠ وهم يفشلون فى هذا كثيرا ٠٠ ويا لبئس ما يجنون ٠٠

يصبرنى على ذلك حفنة من الشباب تعد على الاصابع، تسير على الدرب القديم، وتسلك الصراط المستقيم .. تؤمن برسالتها وتعتقد فى ان الشعر العربى - الشعر بمعناه الذى ورد فى كتب الاقدمين والمجددين ، هو الشعر الصالح لكل زمان ومكان. وهو الشعر العربى حقا ..

ومع هذا نرى الاستاذ « عبده بدوى » يرد على هؤلاء الناس فى بابه بالمجلة بكل رفق ولين ، وينظر الى أشعارهم على أنها مرحلة من مراحل التطور فى الشعر العربى ؟!

وانا لا انكر على الاستاذ عبده ذلك .. ولكنى اقول له : ان الموضوع ليس بحاجة الى كثير حديث عن هذا الشعر الذى يخرج عن دائرة الشعر الى مدى بعيد ٠٠ بعيد٠٠ واقول له : ان للشعر العربى الأصيل أبوابا اخرى احق بالمناقشة واحق بالتقديم من هذه « الهنبقات » على رأى الاستاذ عباس خضر !

يا هؤلاء ... نقبلكم ناثرين شاعرين ولا نقبلكم شاعرين ناثرين ٠

مع القراء :

● **الشاعر عبد الله رحال** ٠٠ أرسل قصيدة جيدة يمكن أن تستوعب ان نشرت الصفحات المخصصة للشعر فى عدد من الأعداد ، ولما كان قد حذر من الاجتزاء ، فانا ننتظر منه قصيدة فى الحجم المعقول ٠

● **الشاعر محمد مسعود الزيتنى** ٠٠ يأخذ على الشاعر محمد الجيار فى قصيدة « عرس الدموع » قوله « زورقا كفنته تلك القلوع » مع أن القافية فى القصيدة محركة بالكسر ، ويأخذ على قصيدة الشاعر محمد العزب فى العدد ٥٥ قوله :

لكننى والوهم يطوينى صحوت على قسم
يعوى بأعماقى جليلا رائعا ضخم النغم

اذ أن كلمة « تعوى » بما توحيه لا تنسجم مع « قسم ، جليلا ، رائعا » ٠

ويأخذ على الشاعر أنس داود ايراده للفعل المضارع (يأتى) مرفوعا

وسألنا الله للأغصان ان يأتى الربيع

● **الأديب حلمى محمد القاعود** ٠٠ الرسالة تشكرك على رسالتك الرقيقة ، وهى لا تلقى بالا للحملات التى تكال لها لأنها متصرفة تماما الى تحقيق « الرسالة » التى من أجلها صدرت ٠

● **الشاعر عبد الفتاح محمود الدربى** ٠٠ أرسل قطعة شعر رقيقة جاء فيها :

تسألينى هل ستنسى رحلة الحب القصيره
ليت شعرى كيف أنسى قصة كانت مريره
لم تزل فيها سطور كلها شك وحيره !
ليتنى أنسى كلاما قيل فى يوم الوداع
ليتنى أنسى وعودا أسلمتنى للضياع
هل سألت القلب يوما كيف هذا الحب ضاع

● كما تلقت الرسالة عدة قصائد من الشاعر « مصطفى ابراهيم عمران » من غزة ، وقصيدة بعنوان « بالسلام والرخاء » للشاعر ابو الفتوح أحمد الغمرى ، وقصيدة بعنوان « الى تجار الحروب وأعداء البشرية » للشاعر محمد الضمرانى أبو العلا جاء فيها :

اذا ما الوازع الدينى ولى
وغاب ضميرهم أو يضمحل
وأصبحت الغرائز فى جنوح
وكل محرم سهل وحل
فسوف يكون أمثلهم خئونا
يعب من الحرام ويستحل
يخون العهد فى غسق الليالى
وعند الصبح أخلاق ونبل
وفى التاريخ أحداث وذكر
وفى التنزيل أشباه ومثل
فكم من دولة ذهبت هباء
وكان وراءها كفر وبخل
فبشر بالفضائل فى صمود
وحذر لا تمل ولا تكل
فان الشر حين يحيق ليلا
يعم وماله حزن وسهل

● الأديب **عبد الحليم عبد الفتاح عويس** يطالب بأن يزود قصر الثقافة بالمحلة الكبرى بدواوين الشاعر على محمود طه ، كما يطالب باعادة طبعها ٠

صورة أدبية من النثر التركي الحديث :

الفراشة

بقلم محمد رءوف

ترجمة أكمل الدين محمد احسان

يداعب أجفان الكائنات التى تنتفض من سبات عميق ، نسيم رطيب يأتى من سكون مطلق سحيق ، وتلثم الشمس وجنات حور السحر فتصبح من حيائها مثل العقيق ، وتفيض عيون الزهور بدموع الشوق وتهتز بين ورود السماء والوانها ، وتستحم راقصة هائشة باشة ، ثملة نشوى فى اشعة الشمس المنهمرة النابعة من وراء تلك القمة حيث تهتز الزهور · وتتلاعب أشعة الضياء الضاحكة ، وتتناجى النسمات المدللة بين أفنان الشجر · وتنجلى غلالة الدجى المستتر ويتلألأ ندى السحر فيسرى فى الأرجاء هواء خفيف فكأنما الكون قد تثاءب · فيصيح ديك الفجر فى وقفته المشوبة بظلال الملل فتتردد صيحته هنا وهناك ، فتسرى فى الوجود رعشة الحياة دافقة ، وتتراقص ألحان الكائنات سعيدة وبغتة تشرق الشمس فى وسط الانعكاسات بعظمتها المشعة من خلف القمة ·

***

آنذاك بزغت من حيث لا أدرى فراشة كنسيم الفجر ، أخذت ترقص كهفيف الحرير ، منتشية متلذذة بأجنحة شفافة مائية اللون ، فى تباشير الشروق الذهبية ·

والآن تريد أن تدلف مرتعشة الى زهرة رقيقة ذات وريقات عليها قطرات ندى تبتسم سرا · وتسبح سعيدة مخمورة متموجة فى غمرة الضياء المنسكب من الأطراف ، وتتمايل كالعشاق بحذر شديد صوب السنابل الذهبية التى تنعكس عليها أشعة الشمس وينبسط تحتها بخار راكد ، كأنما ستشمها او تمتص رحيقها ، وتتهافت متخففة مهتزة كشعاع متموج فى الفضاء ، ولكنها الآن تطير ثانية وتقترب من كم زهرة مترنحة تئن فى الهواء كأنما تضيق من ضمة كأسها ، وتحوم مهتزة حول أغصان ندية يذكر نداها دموع الهيام · وتحوم وتحوم ···· انها غير مستقرة لاتهدأ أبدا ، انها تقبل مرة واحدة وما تلبث أن تفر وتطير · عندئذ يجهش صدر كم الزهر بصرخة حرمان ، وتهتز على عودها حزينة تنظر بعين متحسرة مغرورقة بدموع الأسى ·

***

يقال ان الفراشة هى أثير تأتى من روائح حوريات الربيع اللائى يتناجين بأحاديث الحب والغرام ، وانها انتفاضة أكثر الوان الطبيعة روحانية ، وأنا نور سيال تقطر من حفيف الحور ، يقال ان الفراشة نسيم هف ، عبير تأوه ، قطرة تلاطمت ، ضحكة تبلورت ، ابتسامة تقطرت ، ·· يقال ان الفراشة هيام بلا انتهاء ، نسيم معتبر ، قبلة ذات روح ، شعر ، رقص ، ···

يلمحها طفل أشقر الشعر أزرق العينين ، وردى الشفاه ، فتلوح أمام ناظريه بارقة طمع فيصبح فاغرا فاه ، متورد الوجه ، شاخص العينين ، فاتح الذراعين لكى يمسك بتلك الزهرة الطائرة فيصيح : أماه ···· الفراشة ····

ومن حيث لا أعلم تسيل ضحكة شوق ، وتهتز شفاه ، ويأخذ الطفل فى العدو ·· آه ما أجمله ، ما أجمله وقد التصقت بجبينه المندى خصلات شعره الأصفر الطويل المتهافت ، وتحمر وجناته ، وتتقطع أنفاسه ، وبعد ذلك يأخذ فى الركض مرهقا مرتعدا · أف انه لايستطيع الامساك بها وتصرخ أمه « يا بنى لاتعد فقد تتعثر فى عدوك » · أما الفراشة فمسكينة هى منهوكة القوى ، ترتعد قرفا وتهرب مسرعة ، ويقال الآن ان الفراشة ضوء ينسكب ، سريع الخطو

الدوّامة

بقلم حسن فتحي خليل

لم يستطع النوم

تقلب يمينا وشمالا ، امسك راسه بيديه وضغط عليه ضغطا شديدا آلمه ٠٠ ولكنه كان يستعذب ذلك الألم ، كان يخلصه من آلام أخرى أشد ، ان رأسه يكاد ينفجر ، مطارق شديدة تهوى عليه ٠ لايدرى بماذا يستغيث ٠ لقد ابتلع أقراصا من الاسبرين ، ولكنها لم تفعل شيئا ازاء هذه المطارق المؤلمة ٠

والوقت ليل ٠

لو انتظرت هذه الآلام حتى الصباح ! أين يذهب الآن ؟ الصيدلية القريبة من منزله أغلقت أبوابها منذ ساعات ٠٠ وماذا سيأخذ أكثر من الاسبرين ؟ مخدر؟ ربما ٠٠ ربما اي مخدر يمكنه ان يقف هذا الصداع الشديد ٠

ولكن ٠٠ هذه هي المرة الأولى التي يفاجئه فيها الصداع هذه المفاجأة المذهلة ٠ كان من قبل يأتيه الهوينى ، يداعب رأسه أحيانا في هوادة ، فيتناول قرصا أو قرصين من الاسبرين ، وسرعان ماتهدأ الحالة ٠ ولكن الهجوم اليوم جاء بلا رحمة أو هوادة ٠٠ لماذا ؟

لطالما نصحه الطبيب بالا يجعل للغضب سبيلا الى نفسه ، ولكن من في هذه الدنيا لا يغضب ٠٠ ولا ييأس ٠٠ ولا يحزن ؟! وهاته النسوة ، لماذا خلقن اذن ان لم يكن لاثارة غضب الرجال و (المكننة) عليهم ؟!

وهذه امرأته ٠٠ لم تنم الا بعد أن تأكدت أنها قد قلبت أحواله ، وأنها تمكنت من أن تثيره وان تضغط على اعصابه فيصيح في وجهها ٠

---

٠٠٠ وأخيرا تقع تعبة منتحبة على احدى الزهور فتستميت في التشبث بها ٠٠ ويقال الآن ان الفراشة شفاه تستنشق ، وثغر يلثم ، وغرام يرتشف ، انها الآن حريصة جدا ٠

ويصيح الطفل بصوت تخالطه رنة الفرح **هاندا قد فزت بها ويمد ساعديه المرتعدين من نشوة النصر صوبها ٠٠٠**

اواه يا ربي الا توجد في عينيه الزرقاوين اى رحمة او شفقة بذلك الجسم المرتجف الذى يرنو اليه بعين اليأس والقنوط ٠

لله درك دعها ٠٠ دعها وشأنها ٠٠٠ انظر ٠٠ سأحدثك أيضا ٠٠ انها هذا الصباح أتسمع ؟ هذا الصباح فقط ولدت من قبلات السحر ومن حفيف الحرير ٠٠ انها بدأت حياتها هذا اليوم ٠٠٠ انها طارت اليوم فقط ٠

انى أقول لك دعها دعها انها مثلك تماما ، انها ايضا تريد أن تعيش في سعادة ٠٠ انظر انها لم تحط بعد على هذه الزهرة ٠٠٠٠ أخل سبيلها محبة في الله ٠

ويعدو الطفل منتشيا بانتصاره ويمد يديه بابتسامة فرح معذبة ٠٠٠٠

وينسحق بين أنامله الوردية غبار ، رقيق ، ذهبى ، عبق ، غبار أثيرى ٠

والآن يقال ان الفراشة هي لون الهباء ٠٠٠

ترجمة أكمل الدين محمد احسان

وبكت كالعادة ٠٠ ونامت ٠٠ وسرعان ما علا شخيرها !

اما هو ، فقد جافاه النوم ، لم تقو أعصابه على أن تهدأ بعد اثارتها ، فظل مفتوح العينين ، دمه يغلى ويفور ، واذا بهذه المطارق القوية تهوى على رأسه٠٠ فى قسوة ، وتمعن فى ضرباتها ، حتى جعل يضغط على رأسه بيديه ، لعله يتفاداها أو يخفف من وقعها٠

تلفت حوله ٠٠ فى الضوء الخفيف الآتى من الردهة ٠٠ كانت امرأته ما زالت تؤدى السيمفونية الموسيقية من الشخير تارة والصفير أخرى ٠

وفى الفراش الثانى ، كانت صغيرته الوحيدة تنام نوم الملائكة فى هدوء وطمأنينة ، الابتسامة الفاتنة على ثغرها الدقيق ، وقد أسندت يدها على الأخرى فوق صدرها الذى يعلو ويهبط فى انسجام وتناسق جميلين ٠

صرفه النظر اليها عن آلامه قليلا ، كم يحب أن ينظر اليها دائما وهى نائمة ، انها تزداد فتنة فى عينيه ، فالملائكة تحرسها وضوء سماوى مقدس يحيط بها ٠

وأدار بصره ٠٠ نحو امرأته ٠٠ وخطر له أن يوقظها ، ولكن ٠٠ ما الفائدة ؟ ماذا ستفعل له ؟ ربما أغاظها ذلك فازدادت حنقا عليه ، وتابعت نشيد (المكننة) ٠ ليستقل بآلامه ٠٠ولنغلق نفسه عليه٠٠ فما فائدة ترجى من ايقاظه لزوجته ٠

وظل ساهرا ٠٠ ينتظر الصباح ٠

وفجأة ٠٠ سمع أنينا خافتا ، تلفت حوله فى ذعر ، لم تكن امرأته ٠ أرهف السمع فاذا الانين آت من فراش ابنته ، فقام فى لهفة ، وركع على ركبتيه بجانب فراشها الصغير ٠٠ لقد وجد مسحة من الآلام تعلو وجهها ، وبدأ أنينها يتتابع ، ثم بها تبكى وتصرخ فجأة ٠٠

ـ بابا ٠٠ ماما ٠٠

فهتف فى لهفة : ـ فيفى ٠٠ فيفى ٠٠ انا بابا يا حبيبتى ٠٠ ما بك ؟ ما بك ؟

فتحت الصغيرة عينيها والدموع تسح منهما وصرخت ٠٠

ـ بابا ٠٠ بابا ٠٠ بطنى يا بابا ٠٠

قال فى لهفة ـ ما بها بطنك يا حبيبتى ٠٠ مابها ؟

كانت الصغيرة ماتزال تصرخ :

ـ بطنى يا بابا ٠٠ بطنى تؤلمنى

والدموع مازالت تنهمر من عينيها ، وبدا وجهها يتقلص تقلصات شديدة وقد أمسكت بطنها بيديها ، ورفعت هامتها وظلت تصرخ ٠

توقف الشخير فجأة ، وهبت زوجه مذعورة وهى تقول :

ـ ما بالبنت يا على ٠٠ ما بها ؟

نسى خصومته لامرأته ونسى مافعلته قبل أن تنام ، كان قد وطد العزم على أن يخاصمها أياما ، حتى يستيقظ ضميرها وتعرف أنها المذنبة٠٠ وتصالحه٠٠ ولكنه لم يتمالك حينئذ من ان يرد عليها :

ـ بطنها تؤلمها ٠٠ احضرى لها شرابا ساخنا ٠٠

وأسرعت فأخذتها بين احضانها وهى تقول :

ـ ما بك يا وفاء ٠٠ ما بك يا روحى ٠٠

بكت الصغيرة صارخة : ـ
ـ بطنى ياماما ٠٠

وتخلصت من احضانها والقت بنفسها فى حضن ابيها ، وأسرعت الزوجة الى المطبخ لتهيىء لها شرابا ساخنا ٠

شعر على بدفء الصغيرة بين أحضانه ، ونسى نفسه فى أحضانها ٠٠وجعل يقبلها وهو يقول :

ـ لا تبك ٠٠ سيزول المغص حالا ٠٠ حالا ٠٠

ولكن الصغيرة كانت ما تزال تصرخ :

ـ بطنى يابابا ٠٠ بطنى ٠٠

فقال وهو يكاد يبكى :

ـ ماما ستحضر حالا ٠٠ حالا ٠٠

وأتت بسرية مسرعة ومعها فنجان الشراب الساخن ، تناولته الصغيرة فى صعوبة ٠٠

وانتظرا النتيجة ٠

ونسى هو كل شىء فى هذه الدوامة ٠ كان انتباهه كله موجها نحو صغيرته وحبيبته ، ومشاعره كلها معها فهى أعز شىء فى الوجود بالنسبة له ٠

ووقفت زوجه بجانبه ، وأنظارهما معلقة بالصغيرة الحبيبة . وهما لا ينبسان ببنت شفة .

هدأت قليلا .. ولكن سرعان ما علا صراخها .

حينئذ هب واقفا وهو يقول :

ـ يجب أن أذهب بها الى الطبيب .

قالت امرأته ـ أين الطبيب الآن ونحن فى آخر الليل .

قال : اذن اذهب بها الى المستشفى حالا ..

وأسرع الى ملابسه يرتديهـا فى ارتباك ، وهو لايدرى أيهما يلبس أولا القميص أو الحذاء .. وتلفت فجأة فوجد امرأته تلبس هى الأخرى ..

قال ـ ماذا ؟

قالت ـ معكم .. لن أتركها ..

وأسرعا الى المستشفى .

كانت اللهفة لمعرفة مابهـا لا تجعله يستقر على حال ، ظل واقفا ثم جلس ، ثم وقف .. وهو فى انتظار الطبيب (النوبتجى) الذى كان نائمـا .. وكانوا يوقظونه ، ما هذا العذاب ! أليس المفروض أن يكون هذا الطبيب مستيقظا لاستقبال هذه الحالات العاجلة ؟ آه .. ان لم يحضر حالا .. سأشكوه فى الصباح الى المدير .. ولكن .. لعله هو هذا القادم .. كلا .. فقد كانت الممرضة ..

قالت ـ الدكتور سيحضر حالا ..

قال ـ حالا ؟ .. متى ؟

وصرخت الصغيرة ، فاستشاط غضبه ، ولم يشعر الا وهو يشد الممرضة شدا ..

ـ من فضلك .. استعجليه .. أين الانسانية؟ ..

وأخـيرا .. حضر الطبيب .. يداعب النعاس عينيه ، ونظر اليهم شزرا ، ثم أخذ الصغيرة ، وكشف عليها ، ثم استحضروا أدوية .. وحقنة ..

ومـر الوقت ، وهو واقف ينتظر فى بلاهة .. لا يشعر بما حوله ، كان فى دوامة كبرى ، تتارجح المناظر كلها أمام عينيه ، وزوجه بجانبه ، ممسكة بذراعه ، صامتة هى الأخرى ..

وانخفض الصراخ شيئا فشيئا .. ثم توقف . ولم يشعر الا والطبيب يربت على كتفه وهو يقول :

ـ الحمد لله .. انتهى كل شىء .. وستنام الآن

وأخذها بين ذراعيـه ، كانت نائمة .. مغمضة العينين ، تحرسها الملائكة .. وبدأ النـور الشفاف القدسى يحيط بها .

تلعثم لسانه بشكر الطبيب ، وتعجب كيف كان سيشكوه فى الصباح الى المدير ، وكرر شكره وهو يضحك فى بلاهة .

وخرج . زوجه ممسكة بذراعه .. وهى تهمس :

ـ الحمد لله .. يا على .. الحمـد لله .. كنت خائفة ..

قال ـ وأنا أيضا .. الحمد لله .. الحمد لله ..

وعادا الى المنزل . كان الليل يدبر وخيوط بيضاء تكاد تظهر فى الأفق البعيد .

كان سعيدا ، ووفاء بين يديه ، تنام فى حراسة الملائكة ، وزوجه معلقة بذراعه .. وعادوا الى حجرة النوم .

وضع وفاء فى فراشها الوردى .

وخلعت زوجـه ملابسـها فى عجل وأسرعت الى الفراش الدافىء .

وحاول هو أن يخلع ملابسه فى مهل كعادته . كان متعبا مكدودا . كانت تجربة شاقة ، هذه هى حـال الأولاد . ان تربيتهم وتنشئتهم متعبة ، أنا مازلت فى أول الطريق ، متى تكبر وفاء ؟ ومتى ؟.. آه .. أنا أيضا أتعبت والدى وأنا صغير ، والمسألة حلقات تتتابع كل يأخذ دوره فيها ..

عليه الآن يقع العبء بعد أن استراح والداه !

وطرق سمعه فجأة .. صوت الشخير ! ابتدأت السيمفونية التى تجيد زوجه عزفها وهى نائمة .

همس فى نفسه :

ـ **يابختها !**

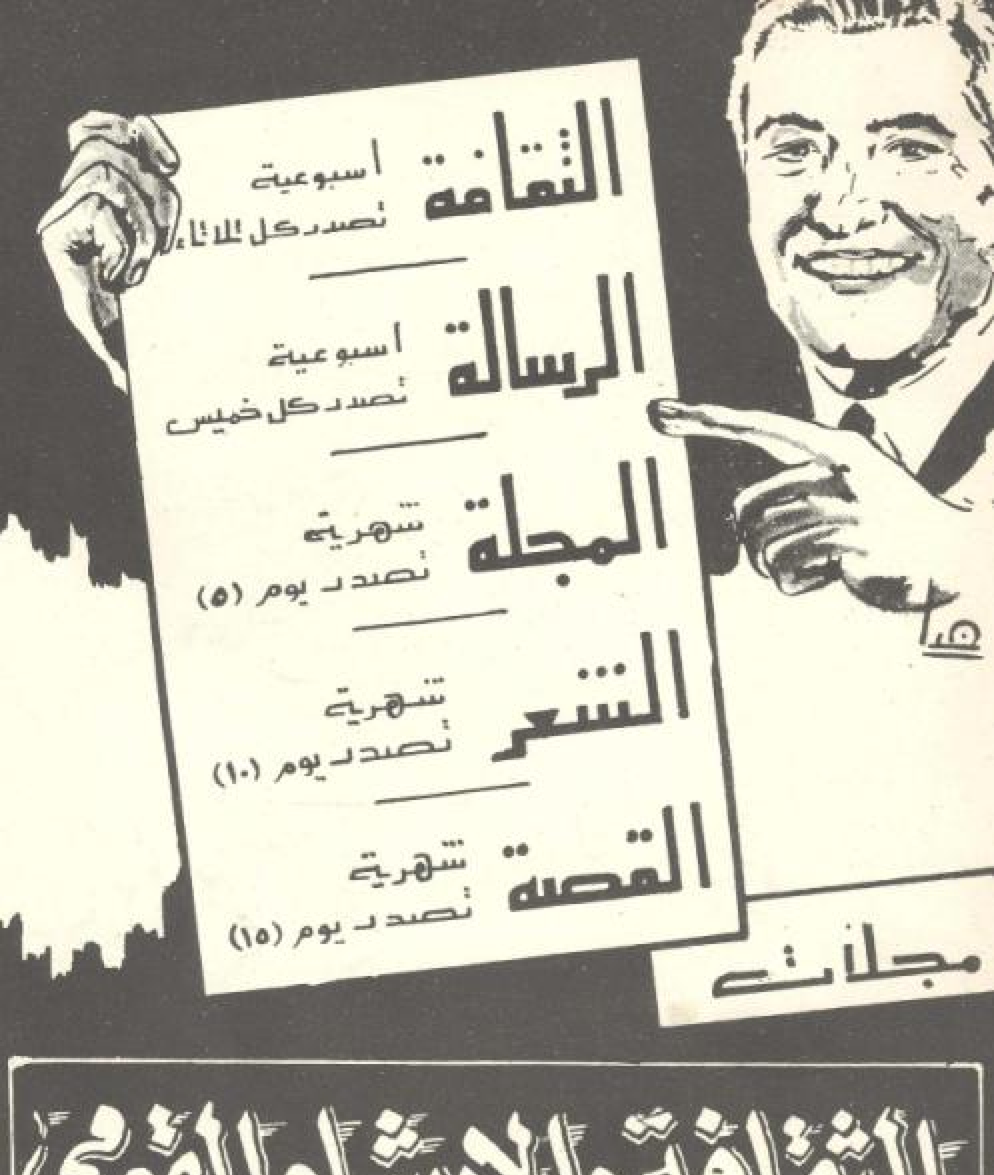
ودلف الى الفراش .

ما أن حاول النوم بعد هذه الليلة الشاقة .. حتى شعر به ثانية !.

يا الهى ! لقـد نسيه ونسى نفسـه .. ولم يكن يشعر بأى شىء وهو فى هذه الدوامة التى عاش فيها تلك الساعات الطويلة وابنته تتوجع وتتألم ..

ولكنه .. كان مايزال يهوى على رأسه بمطارقه الثقيلة ..

انه صداع ...



العدد ٦٠
الثمن ٣ مـ
الدار القومية للطباعة والنشر